أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

musa bin imran first pages.indd 1 5/22/13 4:18 PM

دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقًا) مقابل الغرفة التجارية

المملكة العربية السعودية ص. ب: ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦

هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢-١-٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩-١-٠٠٩٦٦

E-mail: darussalam@awalnet.net.sa, riyadh@da-us-salam.com Website: www.darussalamksa.com

دار السلام العليا	: تلفون	00966-1-4614483	فاكس :	4644945
دار السلام الملز	: تلفون	00966-1-4735220	فاكس :	4735221
دار السلام جدة	: تلفون	00966-2-6879254	فاكس :	6336270
دار السلام المدينة المنورة:	: تلفون	00966-503417155	فاكس :	8151121
دار السلام خميس مشيط	: تلفون	00966-7-2207055		0500710328
دار السلام الخبر	: تلفون	00966-3-8692900	فاكس :	8691551
دار السلام الشارقة	: تلفون	00971-6-5634623	فاكس :	5632624
دار السلام باكستان	: تلفون	0092-42-7240024	فاكس :	7354072
دار السلام لندن	: تلفون	0044-208-539 4885	فاكس :	208-5394889
دار السلام نيويورك	: تلفون	001-718-6255925	فاكس :	718-6251511
دار السلام هيوستن	: تلفون	001-713-7220419	فاكس :	7220431
دار السلام ماليزيا	: تلفون	00603-77109750	فاكس :	77100749

© مكتبه دار السلام ،١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المعتاز، عبدالله محمد

موسى عليه السلام./ عبدالله محمد المعتاز.الرياض،١٤٣٤هـ

ص:٣٠٦،مقاس ١٤ x ٢١ سم

ردمك: ٧-٢٤١-٥٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-المسيح(عليه الصلاة والسلام) ٢-قصص القرآن

٣- قصص الأنبياء أ.العنوان

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٣٤/٥٨٢٠

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٥٨٢٠

ردمك: ٧-٢٤١-٥٠٠-٦٠٣-٩٧٨

musa bin imran first pages.indd 2 5/22/13 4:18 PM

أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

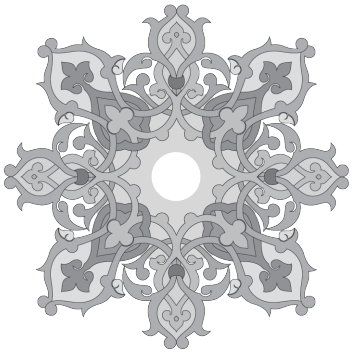

تَأْلِيف الشَّيخ

عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُعْتَازِ

مؤسّس إدَارة المسَاجد وَالمشَاريع الخيريّة

وَالمشرف العَام عَلى مَكتبة دَارِ السَّلام للنشر وَ التّوزِيع

دَارُ السَّلَامِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الرياض- المملكة العربية السعودية

musa bin imran first pages.indd 3 5/22/13 4:18 PM

musa bin imran first pages.indd 4 5/22/13 4:18 PM

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فإن في قصص الأنبياء فوائد ومواعظ وعبرًا فهي أحسن القصص وأشرفها وأصدق القصص عنهم ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وكم تمنيت أن يقوم الإعلام ووزارة التربية والتعليم بتعليم الناشئة هذه القصص ليكون الأنبياء قدوة صالحة لهم في الأخلاق والسير والصبر والدعوة إلى الله تعالى وغير ذلك.

ومن بين القصص ما قصه الله علينا في كتابه عن موسى بن عمران عليه السلام، ففيها الشيء الكثير من الفوائد التي نحن بحاجة إلى تعلمها والعمل بمقتضاها.

وفي هذا الكتاب سأقص ما توصلت إليه عنه عليه السلام والفوائد المستنبطة من قصصه وصفاته وصبره ومواقفه مع فرعون وقومه وأخيه وقبل ذلك مع ربه وكيف عانى من قومه وصبر عليهم لتكون هذه القصص قدوة لشبابنا، يقتدون بها ونبراسًا يهتدون منها إلى الطريق السوي فشبابنا في حاجة ماسة إلى القدوة الحسنة والأسوة الكريمة خاصة في وقتنا الذي غزتنا الصحف

والمجلات والكتب والمسلسلات والسينما والقنوات والمغنين والمغنيات ممن اتخذهم الشباب نبراسًا، وقدوة لهم في طريقهم، مما جرهم إلى الانحراف عن الطريق القويم.

أسأل الله تعالى أن يعينني على ذلك، وأن ينفع بهذه القصص التي سأبينها وأن يهدينا صراطه المستقيم إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مؤسس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية

عبد الله بن محمد الصالح المعناز

فضائل الله تعالى على موسى عليه السلام

لقد اصطفى الله تعالى موسى على الناس في زمانه وجعله رسولًا نبيًّا فقال تعالى: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال: ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١]، وكلمه الرحمن قال تعالى: ﴿ وَنَدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [مريم: ٥٢]، وقربه وناجاه فقال: ﴿ وَنَدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢]، ورحمه ربه إذ جعل أخاه هارون مساعدًا له في إبلاغ الحق فقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣]، فهو من أولي العزم الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد-عليهم الصلاة والسلام- واستجاب الله دعاءه فقال: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦].

وبرأه مما قال عنه أعداؤه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وأخذ التوراة بقوة وبلغها، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وبلغه أشده حتى استوى قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [القصص: ١٤]، أما عن يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [يوسف: ٢٢]، ولم يقل: ﴿ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾.

وآتاه التفصيل لكل شيء والهدى والرحمة والضياء والذكر والكتاب قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ومن الله عليه إذ استخلفه في الأرض وجعل أمته أئمة ومكن لهم في الأرض وقهر عدوهم قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥ – ٦]، وغفر له قتله للقبطي قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦].

وزوجه إحدى البنتين اللتين سقى لهما ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾ [القصص: ٢٧]، وطمأنه بعد خوفه عند الرجل الصالح والنبي المرسل شعيب أو غيره قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥]، ونصره على السحرة قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧].

فضل موسى عليه السلام على أمة محمد ﷺ بتخفيف الصلاة

روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ-، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ-، قَالَ: -فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ- قَالَ: - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ- قَالَ: - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: «اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ-صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا-، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، قَالَ: فَرَحَّبَ

بي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ بي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ بِى وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ- قَالَ: - فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ

عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ- قَالَ: - فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ- قَالَ: - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً- قَالَ: - فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ». [مسلم: ٢٥٩ (١٦٢)]

وفي رواية: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ».

وهذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وخرجها مسلم رضي الله عنه في صحيحه. [مسلم: ٢٦٧ (١٦٥)]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ».[مسلم:٢٦٨ (١٦٦)]

حياء موسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ حَجَرٌ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] (البخاري: ٣٤٠٤)

قال النووي والقاضي وغيرهما: «إن الأنبياء مبرؤون ومنزهون من النقائص في الخَلق والخُلق ومن العاهات سالمون ومن المعايب مبرؤون ومنزهون ومن العيوب بعيدون ومن كل ما ينقص ويبغض العيون أو ينفر النفوس معافون وهم في غاية الكمال».

وقال ابن الجوزي: «لما كان موسى في خلوة، وخرج من الماء، فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أنه لا يصادف أحدًا وهو عريان، فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتاز بهم لما أن جوا النهار وإن خلت غالبًا لا يؤمن من وجود قوم قريب منها فبنى الأمر على أن لا يراه أحد لأجل خلاء الليل فاتفق رؤية من رآه».

وقال الحافظ: «الذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر حتى وقف على مجلس لبني إسرائيل وكان فيهم من قال فيه ما قال وبهذا تظهر الفائدة وإلا لو كان وقوفه على قوم منهم في الجملة لم يقع ذلك الموقع». والله أعلم.

من أول مَن يبعث يوم القيامة: موسى عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا، كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ - شَكَّ عبدالعزيز - قَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا

مُوسَى عليه السلام آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَةِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي»[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٥٩) (٢٣٧٣).

كثرة أمة موسى عليه السلام

لقد كانت أمة موسى أكثر الأمم بعد أمة محمد ﷺ ، وفيهم أنبياء كثيرون، وعلماء وعباد وزهاد وملوك وسادات وأمراء وكبراء وكانوا أفضل الأمم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢]، ولكنهم اختبروا بهذه النعم فلم يشكروها، فمسخهم الله قردة وخنازير ولعنهم الله وغلت أيديهم لما قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]، ولما قالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، قال تعالى: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ولما حرفوا الله التوراة قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقد صبر موسى على أذاهم وأثنى الله على موسى وعلى التوراة فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقال: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، ويتبع موسى من أمته الكثير قال ﷺ:

«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ»(١).

عمران أبو موسى وهارون وهو: عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، فآل إبراهيم وآل عمران قال الله تعالى عنهم: ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤]، وقد اختار الله آل موسى وآل عمران على العالمين وبعث على قومهما المن والسلوى وذلك لم يكن لأحد من الأنبياء في العالم وقد اختار الله آدم بخمسة أشياء:

أولها: أنه خلقه بيده في أحسن صورة بقدرته.

والثاني: أنه علمه الأسماء كلها.

والثالث: أمر الملائكة بأن يسجدوا له.

(١) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

والرابع: أسكنه جنته.

والخامس: جعله أبا البشر.

واختار نوحًا بخمسة أشياء: أنه جعله أبا البشر لأن ذريته هم الباقين.

والثاني: أنه أطال عمره دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا.

والثالث: أنه استجاب دعاءه على الكافرين.

والرابع: أنه حمله على السفينة.

والخامس: أنه كان من أول من نسخ الشرائع وكان قبل ذلك لم يحرم تزويج الخالات والعمات واختار إبراهيم بخمسة أشياء:

أولها: أنه جعله أبا الأنبياء.

والثاني: أنه اتخذه خليلاً.

والثالث: أنه أنجاه من النار.

والرابع: أنه جعله إمامًا للناس.

والخامس: أنه ابتلاه بكلمات فأتمهن.

أما موسى فقد اختاره بكلماته، وبعث المن والسلوى لقومه، ونجاه من فرعون وقومه.

وهؤلاء الأنبياء صفوة الخلق اصطفاهم الله على العالمين خلقوا للرحمة بهم أما محمد ﷺ فهو حبيبه ورحمته قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فالرسل خلقوا للرحمة ومحمد ﷺ خلق بنفسه رحمة، فهو إما أن للخلق أجمعين فأمن الخلق به من العذاب إلى نفخة الصور ولذلك قال ﷺ: «أنا رحمة مهداة». (الدارمي: ١٥ إسناده صحيح)

فهو بنفسه رحمة للخلق، وهدية من الله لهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهو كليم الله فرض الله عليه الصلوات عند سدرة المنتهى.

وكان كلام الله عند سدرة المنتهى، وكلام الله لموسى بالطور في الأرض، وكل نبي أعطي آيات ومحمد ﷺ أعطي من الآيات أكثر وأكثر وآيته القرآن دائمة، ومن آياته العظام انشقاق القمر قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾ [القمر: ١ – ٢]، ودينه ﷺ مهيمن على الأديان، وخاتم لها، وهو للعالمين كافة عربهم وعجمهم –صلوات الله عليهم أجمعين–.

منزلة موسى عليه السلام وفضله علينا بتخفيف الصلاة

لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء السادسة استفتح جبريل فقيل له: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج برسول الله ﷺ إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخَبَرْتُهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام

فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ: «فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»(١).

فصلوات الله تعالى وسلامه على موسى الشفيق على أمة محمد والناصح لنبينا محمد ﷺ والذي كان سببًا من أسباب التخفيف علينا في الصلاة، وتنزيلها من خمسين إلى خمس، والحمد لله تعالى على كرمه ومنه وجوده وإحسانه ورحمته وفضله على إجابته وتخفيفه علينا.

من رحمة الله بموسى عليه السلام: أن أرسل إلى هارون ليساعده على أعباء الدعوة ويؤازره

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣].

لقد أجاب الله سؤاله حيث قال: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٤]، فقال الله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦]، فهو أشد الناس صلة بأخيه، وما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبيًّا.

(١) رواه مسلم ٢٥٩ (١٦٢).

وقال تعالى عن موسى في دعائه لربه: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص: ٣٤]،

قيل: إن موسى بعد أن استجاب الله له حيث قال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٧ – ٢٨].

إن الله تعالى مع إرسال هارون معه لفصاحته شفى لسان موسى فصار فصيحًا خطيبًا واضح القول والحجة ولهذا كان هو الذي يحاور ويجادل فرعون.

كلام الله تعالى لموسى عليه السلام

كلم الله تعالى موسى تكليمًا، وقربه إليه نجيًّا، وناداه من جانب الطور الأيمن وهو جبل مبارك بين الطور ومدين عن يمين موسى وقربه الله إليه وكلفه بالرسالة وشرفه بها قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال له: ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠ – ١١].

وفي الصحيحين من احتجاج آدم وموسى عند ربهم وفيه قول آدم لموسى: «أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ»»[1].

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَةِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلاَ أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[2].

وفي رواية: «فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ»[3]. أي: آخذ بشيء من العرش بقوة.

طلب موسى العلم

طلب العلم واجب على كل إنسان وهو الذي يتميز العبد به قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

(١) رواه مسلم (٢٦٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٣٧٣).

(٣) رواه البخاري (٢٤١١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى فقال ابن عباس: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا مُوسَى فِي مَلاٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لاَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى، بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣] قَالَ : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف: ٦٤] فوجدا خضرا فكان من شأنهما الذي قص الله عزوجل في كتابه.

وهذا الحديث الذي رواه البخاري يدل على تواضع موسى، ورغبته في طلب العلم، ولا شك أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر، فهو من أولي العزم الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عليه السلام، صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ عليه السلام فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عليه السلام، حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عليه السلام وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ: وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عليه السلام، قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾، قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ، قَالَ مُوسَى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤]، قَالَ: يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلاً مُسَجًّى

عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧١ – ٧٣]، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: «أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا

فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ [الكهف: ٧٦ - ٧٧]، يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨]. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا»، قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ»(١).

موسى عليه السلام مع ملك الموت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) صحيح مسلم (٢٣٨٠).

ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»(١).

وفي رواية عمار ما يشهد لفضله عليه السلام فقال: «يارب، عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عرفه، فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه، فكيف لم يقتص له من فقأ عينه؟

وجمع بين ذلك ورد على المبتدعة الشيخ أحمد فريد بقوله: «إن الله تعالى لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه اختبارًا وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الشارع فقأ عين الناظر في دار المسلم بغير إذنه وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ولو عرفاهما لما خافا عليهم من قومهم وعلى تقدير أن يكون عرفهم فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له». اهـ

وقال النووي: «لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للمظلوم. وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من دون أن يخبره ولما

(١) البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢).

ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن» والله أعلم(١).

لقد طغى فرعون وتكبر وتغطرس وتجبر واستضعف بني إسرائيل ولم يعدل فيهم واستعبدهم وذبح أبناءهم واستحيا نساءهم للخدمة والإهانة واستضعفهم واحتقرهم وخافت أم موسى على ابنها موسى، فأوحى الله إليها أن أرضعيه وألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني، فالله راده إليك وجاعله رسولًا يوحى إليه، فلما جعلته في التابوت وألقته في اليم، سارت به الرياح إلى بيت فرعون، فألقى الله محبته على آسيا امرأة فرعون -رحمها الله- وقالت: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، وخافت أم موسى ولكن الله ربط على قلبها وأمرت أخته أن تبحث عنه فرأته في بيت فرعون يبحثون عن مرضعة له، فقالت لهم: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢]، فدلتهم على أمه كي تقر عينها ولا تحزن فإرادة الله غالبة ينتصر للمستضعفين ويخذل المفسدين قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥ - ٦]، فلا يستعجل المظلومون فإن الله سينصرهم وينصر دعوة الحق بعد

(١) ما قاله من الفتح باختصار الشيخ أحمد فريد (٦ / ٤٤٢).

الصبر والابتلاء ثم النجاح قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

وهذا الوحي لأم موسى من نوع الإلهام أو من نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى وليست أم موسى بنبية فالأنبياء من الرجال قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وهذا من فضل الله تعالى ورحمته حيث أنقذ هذا الطفل وأنجاه من كيد فرعون وحببه لزوجته آسيا وحرم عليه المراضع إلا من ثدي أمه وأعاده إليها بعد الخوف وثبت قلبها لتكون من المؤمنين قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٣].

الفوائد من قصص موسى عليه السلام

إذا عم الظلم وانتشر دل على زواله ونصرة المظلوم وهلاك الظالم وزواله ولهذا لما طغى فرعون واستعبد بني إسرائيل وذبح أبناءهم وجعل رجالهم خدمًا مستذلين، أهلكه الله بالغرق بالماء قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤]، وفي ذلك عناية الله بالمؤمنين الصادقين

مهما ضعفوا وهانوا على الجبارين وفي ما يحصل لهم من ذل ومهانة وسجن وقتل تربية لهم وتكفيرًا لذنوبهم وسببًا لنصرهم ورفعتهم ورفع درجاتهم قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

ويجب على المؤمنين أن يأخذوا بالأسباب المتاحة والله تعالى قادر على أن ينصرهم بدون عمل الأسباب، ولكن سنة الله تعالى أن يجعل لكل شيء سببًا وسبب المؤمنين الصادقين يقبله الله ويهيئه لهم ويسهله ويدلهم عليه، أما الكافرون فأسبابهم إذا وجد المؤمنون الصادقون لا تنفعهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وفي هذه القصص تثبيت لقلوب المؤمنين وإن قوي عدوهم وطغى وتجبر وملك الأسباب الحسية وفي ذلك بشارة وفرح ووعد بالتمكين في الأرض، ولابد للمؤمنين من الصبر واليقين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وفي القصص لطف الله تعالى بموسى عليه السلام وبأمه حيث بشر أمه بردها إليها وألهمها الصبر وربط على قلبها وقواه بالإيمان واليقين وهذا من لطفه

تعالى، وفي القصص أنه رب ضارة نافعة ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وفي الآيات تثبيت الله للمؤمنين عند الشدة وأن الإيمان يزيد عندها ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠]، والله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، والحمد لله رب العالمين.

الهم الذي يلاحق موسى عليه السلام
بسبب قتله خطأ للقبطي من آل فرعون

تربى موسى عليه السلام في بيت فرعون، ترضعه أمه ثم يعود إلى آسيا رحمها الله حتى بلغ أشده وهو في هذا البيت منعمًا يأكل ويشرب ويعيش عيشة المتنعمين، وبما إنه ينسب إلى بني إسرائيل يتألم من أذية فرعون لبني إسرائيل وأخذ يتعلم الحكمة والعلم وآتاه الله القوة في العقل والجسم واستوى في سن الثلاثين من العمر وكان يحسن ويعمل الخيرات فمدحه الله بالإحسان وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

وفي يوم من الأيام دخل المدينة قبل نصف النهار وقيل: بين العشائين. قال ذلك ابن كثير عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والسدي فوجد في المدينة رجلين يقتتلان، وكان في غفلة من أهلها، وكان أحد الرجلين من بني إسرائيل، والثاني من الأقباط، فلما استغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام على ذلك القبطي قام موسى بوكزه وطعنه بكفه وقيل: بعصى كانت معه، فمات القبطي بسبب هذه الطعنة وهذا القبطي كافر مشرك بالله رب العالمين، وكان موسى يريد زجره عن فعلته، ولكن الطعنة وافقت مقتلاً فمات فندم موسى وقال: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٥ – ١٦]، ولكن موسى بقي يتذكر هذه الحادثة، ويتأسف على فعلته، ويندم إلى يوم القيامة يقول: «إني قتلت نفسًا ولو أومر بقتلها». ولهذا اعتذر من الشفاعة يوم الحشر الأكبر وقام بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أما موسى فكانت هذه الحادثة تلاحقه وازداد عليه الغم فأنعم الله عليه وصارت فتنة مع غيرها تسببت في زيادة إيمانه.

قال تعالى: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾ [طه: ٤٠]، وتعهد موسى بعدها ألا يكون ظهيرًا للمجرمين ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧] وبعد هذه الحادثة أصبح موسى في المدينة

خائفًا يترقب، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه فخاف من الله، وخاف من فرعون وملئه، أن يبطشوا به، بسبب قتله للقبطي، وكان يترقب ويتلفت خوفًا من ملاحقة فرعون وجنوده وأهل القتيل فحصلت حادثة مشابهة فاستغاث الإسرائيلي بموسى على القبطي، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال القبطي: ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩]

وفي هذا دلالة على كثرة المضاربات والعداوات بين الأقباط والإسرائيليين بمصر.

وفي هذه القصة دلالة على أن موسى معروف بمصر بالصلاح وأنه لا يحب البغي ثم بعد ذلك ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]، قيل: إن هذا الرجل الذي جاء ليخبر موسى بمؤامرة فرعون وملئه على قتله من الأقباط الذين آمنوا بموسى وهو مؤمن آل فرعون جاء إلى موسى مسرعًا يسعى سعيًا وليس مشيًا لمحبته لموسى ودينه ونصحه له فما كان من موسى عليه السلام إلا أن يخرج خائفًا مترقبًا الفتك به قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢١ – ٢٢].

وكان موسى لا يعرف الطريق وإنما هرب على وجهه خائفًا على نفسه وكان خروجه إلى مدين البعيدة من ملك فرعون وهي قرية شعيب عليه السلام بينها وبين مصر مسيرة ثمان، فأنجاه الله من فرعون، وحصل له خير كثير في مدين ولدى شعيب عليه السلام.

المرء مع من انتسب إليه

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: انْتَسَبَ رَجُلاَنِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «انْتَسَبَ رَجُلاَنِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ابْنُ الْإِسْلاَمِ». قَالَ: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام: أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوِ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ»[1].

وأين هؤلاء ممن يفتخر بآباء كفار ويعلق شجرتهم؟

(١) رواه الإمام أحمد في (٢١١٧٨).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: افْتَخَرَ أَهْلُ الْإِبِلِ والغنم عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: « الْفَخْرُ وَالْخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «بُعِثَ مُوسَى عليه السلام وَهُوَ يَرْعَى غَنَمًا عَلَى أَهْلِهِ، وَبُعِثْتُ أَنَا وَأَنَا أَرْعَى غَنَمًا لِأَهْلِي بِجِيَادٍ»(١).

موسى عليه السلام وعصاه وانتصاره على فرعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى عليه السلام، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عليه السلام، فَتَخْطِمُ الْكَافِرَ - قَالَ عَفَّانُ: أَنْفَ الْكَافِرِ - بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، فَرَأَى الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَ؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ. قَالَ: فَصَامَهُ مُوسَى،

(١) مسند الإمام أحمد (١١٩١٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (٩٧٣٧).

قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ». قَالَ: فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ بِصَوْمِهِ(١).

حرص موسى على التعلم

لما أوحى إلى موسى أن عند مفرق البحرين من هو ذو علم رحل إليه ليتعلم منه مما علمه الله مع أنه كليم الله وأكرم خلق الله في ذلك الزمان وأعلمهم لأن العلم أشرف المقاصد وقد تحمل موسى التعب والنصب في سبيل ذلك حتى وصل إلى الخضر وقال له بعد السلام بأدب: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، وهذا مسلك المتعلم الأديب مع معلمه وقد تعلم منه ثلاث مسائل في هذا السفر الشاق وهكذا كان موسى عليه السلام حريصًا على العلم وقد حصل على العلم بسبب ذلك قال تعالى عنه: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص: ١٤]، فالعلم نعمة من نعم الله تعالى على العبد امتن الله بها على نبينا محمد ﷺ حيث قال: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى عن يوسف: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:

(١) رواه أحمد في مسنده: (٢٦٤٤).

٢٢]، وقال تعالى عن عيسى: ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال تعالى عن داود: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠]، وقال عن الخضر صاحب موسى -عليهما السلام-: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤]، ومهما بلغ الإنسان من العلم فهو لم يدرك إلا قليلاً، ولهذا يسأله المزيد ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام: «مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ».

لم ينقص منه شيء وكلما ازداد المرء من العلم، عرف أنه جاهل وشغف ورغب أن يزداد من علم الله الذي يرفع الله به من يشاء من عباده قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة: ١١].

موسى عليه السلام ثاويًا في أهل مدين

خرج موسى عليه السلام وتوجه إلى مدين خائفًا يترقب وكان اتجاهه لله تعالى يدعوه باستمرار ويطلب منه أن يهديه سواء السبيل لأنه لا يعرف الطريق الموصل إليها ومن دعائه وهو في حالة الخوف: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١].

لقد كان معلقًا قلبه بالله تعالى متوكلاً عليه محسن الظن به وقد عمل موسى الأسباب وهرب من موقع الفتنة في مصر بلاد فرعون وتوكل على الله وهكذا المؤمن يفر إلى الله ولا يستسلم للهلاك ويعمل الأسباب الممكنة ولا يتكل عليها، وذهابه وسفره عن مصر التي تربى فيها مع وجود أعدائه أقرب للسلامة وقد هدى الله موسى عليه السلام فدله إلى مدين وأوصله إلى شعيب فاستمر موسى يدعو ويدعو وهو تحت شجرة قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤].

لقد وجد الظل والماء وشاهد امرأتين تذودان ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ [القصص: ٢٣ – ٢٤]، ولما سقى موسى للمرأتين ذهبتا إلى أبيهما شعيب عليه السلام ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٥ – ٢٦]، فلما جاء موسى إلى منزل شعيب وقص موسى على النبي الكريم شعيب طمأنه وعرض عليه الخدمة لسقاية الغنم قائلاً: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]، فوافق موسى على ذلك واطمأن واستراح بعد التعب والهم والغم وقد رجح الشيخ سيد قطب رضي الله عنه أن الرجل الذي أضاف موسى غير شعيب النبي للأسباب الآتية:

أولًا: أن هذا الرجل شيخ كبير وشعيب شهد ملك قومه المكذبين له ولم يبق معه إلا المؤمنون فلو كان هو شعيب النبي بين بقية قومه المؤمنين ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير فليس هذا سلوك قوم مؤمنين ولا معاملتهم لنبيهم وبناته.

ثانيًا: أن القرآن لم يذكر شيئًا عن تعليمه لموسى صهره ولو كان شعيبًا النبي لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى، وقد عاش معه سبع سنوات وبقي موسى عليه السلام عشر سنوات ثاويًا في أهل مدين يعلمهم ويتلو عليهم آيات الله ويكدح لطلب رزقه قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ

مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [القصص: ٤٥]، وهكذا لا ينال العلا إلا بالتعب والصبر قال الشاعر:

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ

وقال أبو القاسم الشابي:

وَمَنْ يَتَهَيَّبْ صُعُودَ الْجِبَالِ ... يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفَرِ

قصة زواج موسى عليه السلام والفوائد منها

عرض شعيب عليه السلام إحدى ابنتيه وأشار إليهما على مهر بنتيه ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]، فقبل موسى عليه السلام قائلاً: ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٨].

ففي هذه الآيات من الفوائد:

أولًا: أن من السنة المعتادة أن يعرض الرجل بنته على رجل يرغب مصاهرته كما فعل الرجل الصالح في مدين إذ عرض إحدى ابنتيه على موسى

وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، ويجوز للمرأة أن تعرض نفسها كما فعلت الموهوبة نفسها على رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ثانيًا: النكاح يكون للولي كما فعل هذا الشيخ الصالح بمدين.

ثالثًا: لقد قضى موسى عليه السلام عشر سنوات في خدمة هذا الشيخ الكبير وفي سقاية الغنم وقد روى البخاري عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الحِيرَةِ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى، قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ العَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «قَضَى أَكْثَرَهُمَا، وَأَطْيَبَهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ»(١).

وهو الكمال اللائق بموسى عليه السلام.

رابعًا: سكوت البكر يدل على رضاها بالزواج وكانت البنتان تسمعان ما قال أبوهما لموسى وما أجاب موسى الشيخ الكبير ولم يرد امتناعهما والله أعلم.

(١)رواه البخاري (٢٦٨٤).

خامسًا: من قول الرجل الصالح ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]، استدلوا على أهمية حسن المعاملة والصلاح وعدم المشقة على العامل ولا بأس بأن يذكر الرجل حسن معاملته ليرغب العامل.

قال الشيخ سيد قطب رضي الله عنه: وبمثل هذه البساطة والوضاءة سار المجتمع الإسلامي يبني بيوته ويقيم كيانه في غير ما تلعثم ولا جمجمة ولا تصنع ولا التواء وهكذا صنع الشيخ الكبير صاحب موسى فعرض على موسى ذلك العرض واعدًا إياه إلا يشق عليه ولا يتعبه في عمله راجيًا بمشيئة الله أن يجده موسى من الصالحين في معاملته ووفائه وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله فهو لا يزكي نفسه ولا يجزم بأنه من الصالحين ولكنه يرجو أن يكون كذلك ويكل الأمر في هذا إلى مشيئة الله.

ويؤخذ من هذه القصة: أن المرء إذا عمل معروفًا وكوفئ عليه فلا بأس بذلك والأجر ولله الحمد تام.

ومن الفوائد: أن الدين المعاملة وأن الدين حسن الخلق وهكذا كان الرجل الصالح لم يشق على موسى وهكذا كان موسى عليه السلام أوفى في معاملته وجعل المدة عشر سنين.

ومن الفوائد: كلمة أنكحك أو أزوجه سواء ينعقد الزواج بأحدهما.

ومن الفوائد: أن بعض العلماء لا يشترط الشهود في حالة المعاوضة في الزواج وهو قول مالك والآخرون يرون أنه لابد من شاهدين كما أن المهر يصح ولو بآي من القرآن وفي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له الرسول ﷺ: «مَا تَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: سُورَةَ الْبَقَرَةِ أَوِالَّتِي تَلِيهَا قَالَ: فَقُمْ فَعَلِّمْهَا عِشْرِينَ آيَةً، وَهِيَ امْرَأَتُكَ»(١).

ورقة بن نوفل يقول للنبي ولخديجة عن جبريل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ ﴾[العلق: ١] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ ﴾[العلق: ١]، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ ﴾[العلق: ١]،

(١) صحيح، أبوداود (٢١١٢).

فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، حَتَّى بَلَغَ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥]، قَالَ: فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ: مَالِي؟ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: وَقَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ، فَقَالَتْ لَهُ: كَلاَّ أَبْشِرْ، فَوَ اللهِ: لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنَ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونَ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ، أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ». وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ

مِنْهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَيُسْكِنُ ذَلِكَ جَأْشَهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ صلى الله عليه وسلم، فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ».(١)

وقد عبر ورقة بن نوفل عن الناموس الذي جاء لموسى عليه السلام بجبريل عليه السلام فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى موسى الكريمين.

تعجل موسى عليه السلام لمناجاة ربه ومعاقبته بما فعل السامري

وعد الله تعالى موسى عليه السلام بأن يكلمه بعد أربعين ليلة ولكن موسى استعجل فأتى إلى الطور لمناجاة ربه بعد ثلاثين ليلة مستعجلًا لرضاه ومبادرًا إلى أمره فعاتبه ربه على ذلك قائلاً: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٣ – ٨٤]، وكانت المدة المضروبة للمناجاة أربعين ليلة حيث قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وفي استعجال موسى حصل من بني إسرائيل ما حصل من عبادة العجل الذي

(١) رواه أحمد في مسنده: (٢٥٩٥٩).

صنعه السامري قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ [طه: ٨٥ – ٨٦] إلى آخر الآيات.

وهذا دليل على بلادتهم وشركهم واتهامهم لموسى بأنه نسيه وأن هذا إلهه فنسي مع أنهم شاهدوا ما حل بالمشركين من العقوبة وشاهدوا صناعة السامري لها من جوهر أرضي أُصلي بالنار ودق بمطارق الحديد على صورة حيوان تدخل الريح من دبره وتخرج من فيه يسمع له صوت وكان هارون عليه السلام ينكر عليهم ذلك ويقول: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩٠ – ٩١]، فلما رجع موسى غضبان أسفًا اشتد غضبه على أخيه وأخذ يجر لحيته وشعر رأسه ويلومه ويعاتبه قال هارون: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه: ٩٤]، قال موسى للسامري: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٥ – ٩٨].

عودة موسى عليه السلام إلى مصر

لما قضى موسى عليه السلام مدة عشر سنوات وهو يخدم الرجل الصالح في مدين أراد موسى أن يرجع إلى مصر وكان سفره في ليلة باردة ظلماء تاه الطريق ولم يهتد إلى الدرب المألوف إذا به يبصر في جانب الطور الغربي منه عن يمينه قال لأهله: إني آنست نارًا يظنها كذلك ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [طه: ١٠]، رآها بعينه ولم يرها أهله رأى نورًا في الحقيقة فقال لأهله: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ [القصص: ٢٩]، أي: أطلب ممن كان عندها أن يدلني على الطريق ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٢٩ – ٣٠]، فهو سبحانه الذي يخاطبه ويكلمه رب العالمين ومربيهم وموجدهم من العدم وأمر موسى أن يبقي عصاه التي في يده اليمنى يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه وغير ذلك من المآرب ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]. فرجع عليه السلام إلى مقامه الأول فأمره ربه أن يسلك يده في جيبه ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [القصص: ٣٢]، تتلألأ كأنها القمر لامعة بالبرق من غير برص، وأمره أن يضم جناحه

من الرهب والخوف والفزع وقال الله له: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۚ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣٢]، فهما معجزتان للنبوة لفرعون وقومه وأتباعه قال موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [القصص: ٣٣]، فاستجاب الله له ووعدهما بالنصر وأن فرعون لا يستطيع أن يتغلب عليهما وأن النصر سيكون لمن اتبعهما والغلبة لهم والحمد لله رب العالمين.

تعليمات موسى لقومه

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤]، فالتوكل على الله دليل على صحة الإسلام لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقال: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] وقال: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ ﴾ [الطلاق: ٣].

وإذا توكل المسلم على الله كفاه وقد بين موسى عليه السلام أن فرعون آتاه الله المال والقوة ولكن موسى وقومه إذا توكلوا على الله غلبوا فرعون وقومه

فقال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [يونس: ٨٨ – ٨٩]، وقد استجاب الله تعالى دعاءهما عدلًا منه في أعدائه وعقوبة على كفرهم وإعراضهم وحكمة منه بسبب ظلمهم وقضاء الله وقدره عدل فالظالم هو الذي سببه لنفسه قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، ويعتبر قول موسى قولًا لأخيه معه إذ هما رسولان برسالة واحدة فكأنهما رسول واحد قال الله تعالى عنهما: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦]، فهارون ردءًا ووزيرًا وأخًا لموسى وموسى هو الأصل في الرسالة وقد امتثل موسى وهارون وقومهما فكانوا يدبرون أمورهم في البيوت وجعلوها قبلة لإقامة الصلاة حتى نصرهم الله تعالى وأهلك فرعون وقومه قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥]، فالحمد لله رب العالمين.

رحمة الله تعالى بموسى عليه السلام

لقد رحم الله تعالى موسى بالرسالة والمناجاة وهذه الرحمة العظيمة أعظم من رحمة موسى لنفسه في قوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩]، فالرسالة ومقام المناجاة أعظم وأشرف وأعلى من جذوة النار فالله تعالى أرحم الراحمين يفتح لمن شاء خزائن رحمته ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢]، فأسأله أن يفتح لنا أبواب رحمته وفضله وأن يفتح لنا فتوح العارفين كما فتح لموسى الفتوح من الكرامات والنصر المبين.

بعد أن كان خائفًا خادمًا عند الرجل الصالح غريبًا وحيدًا فأعطاه الأمان وزوجه إحدى الحسان وكلمه تكليمًا وقربه نجيًّا وزوده بالأسباب العظيمة العصا واليد التي خرجت بيضاء من غير سوء الآيات والكرامات والخوارق والمعجزات ولن تجد لسنة الله تبديلًا ولا تحويلًا وقد جعل معه أخاه هارون نبيًّا فصيحًا واستجاب دعاءه حيث قال: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٢٥ – ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَ اللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»(١).

خاب تخطيط فرعون

وقد تكبر وبغى فرعون واحتقر واستعبد بني إسرائيل وأذلهم مع أنهم في ذلك الوقت خيار الناس قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢].

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٣٧٢).

سخر فرعون من بني إسرائيل وسخرهم بأرذل المهن وذبح أبناءهم واستحيا نساءهم خوفًا من أن يولد فيهم من يكون هلاكه على يديه كما هو مشهور عند الإسرائيليين وكما أول رؤياه الكهنة والسحرة وغيرهم حيث رأى في المنام أن نارًا دور الأقباط ولم تحرق بيوت بني إسرائيل فاحتاط فرعون وأخذ يبحث عن الحبالى من نساء بني إسرائيل وعند ولادتهن يذبح مولودهن الذكر ولكن الله تعالى حمى موسى من القتل وتربى موسى في بيت فرعون وكان عليه السلام ولد بالسنة التي يقتل فرعون مواليدها حيث كان آخر الأمر يقتل مواليد عام ويترك مواليد عام آخر، ولله الغلبة والعزة والقهر أحبت آسيا زوجة فرعون موسى ومنعت فرعون من قتله وقالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩]، ولما ألقت أم موسى ابنها في اليم، سار به اليم إلى بيت فرعون فالتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا وهم لا يشعرون أنه سيكون لهم عدوًّا وحزنًا ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص: ٨].

بعد هذا ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ [القصص: ١٠]، لولا أن ربط الله على قلبها الذي فرغ من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى فكادت تعلن ذلك وتسأل عنه جهارًا ولكن الله ربط على قلبها فصبرت وثبتت وأمرت ابنتها الكبيرة أن تتبع أثره وتقصه وتبحث

عنه وعن خبره فعلمت أنه في بيت فرسعون وبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وذلك أن موسى لم يقبل أن يرضع من أي امرأة ولا يشرب ولا يدخل في جوفه أي طعام فحار آل فرعون من أمره فأرسلوا إلى القوابل في الأسواق والبيوت لعلهم يجدون من يقبل موسى ثديها ويرضع منه فقالت أخته وهي مختفية: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢]، فذهبوا بموسى إلى أمه فأخذته والتقم ثديها وأرضعت فأرسلت آسيا موسى إليها ورتبت لها الرواتب والنفقات والكساوى والهبات قال تعالى: ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ [القصص: ١٣]، وهذه منة عظيمة من الله تعالى على موسى وأمه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٧ – ٣٩] الآيات.

فكان لا ينظر أحد إلى موسى إلا أحبه وأطعمه الله أحسن الطعام وألبسه أحسن اللباس حتى بلغ أشده واستوى وقوي خلقه وخلقه فآتاه الله الحكم والعلم والنبوة والرسالة.

دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه

لما أفسد فرعون في الأرض وظلم وادعى أنه إله من دون الله، بعث الله تعالى موسى إليه، وقال له: يا فرعون، إني رسول رب العالمين، وهذه الدعوة بالتبع، وإنما كانت دعوته لقومه بني إسرائيل بالذات، وكان فرعون يعلم من حال موسى أنه لا يقول على الله إلا الحق لما عرفه عنه من أمانة وقوة في الحق وصدقه وطلب موسى من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل وطلب منه أن يخفف عنهم الأعمال الشاقة التي يكلفهم بها وأن لا يستعبدهم ولكن فرعون عاند وتجبر وتكبر وقال لموسى: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، فما كان من موسى إلا أن ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٧ – ١١٠].

إنه عالم بالسحر وإن ما فعله خداع فقال الملأ: أخرهم وتدبر الأمر، وكان فرعون قد هم بقتل موسى فأشاروا إليه أن يأتي بالسحرة فجاءوا وطلبوا منه الأجرة إن غلبوا موسى وقالوا لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥].

قيل: هذا بسبب إيمانهم حيث تأدبوا مع موسى وحيث أن موسى واثق بوعد ربه وقد طلب منهم أن يلقوا سحرهم قبله فلما ألقوا سحرهم ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف: ١١٦]، فألقى موسى عصاه فلقفت ما كانوا يأفكون وبطل سحرهم وبهروا وغلبوا وكانت المفاجأة العظيمة أن عرفوا الحق وآمنوا بالله وسجدوا لله تعالى وعرفوا أن ما جاء به موسى هو الحق وأن سحرهم كذب وباطل فاستنكر فرعون عليهم وقال: ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣ – ١٢٤].

إيمان سحرة فرعون بالله رب العالمين ربًّا وبموسى عليه السلام نبيًّا

لقد عرف السحرة أن ما عندهم سحر، وأن ما لدى موسى معجزةكبيرة من الله تعالى وليس سحرًا لأنهم يعرفون السحر وخزت عبلاته وأوهامه وأوصافه فسجدوا لله تعالى مؤمنين به مستجيبين لموسى عليه السلام وأخيه: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٦ – ٤٨]، فغضب فرعون قائلًا ومنكرًا عليهم: ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

إنه الكبر والعناد والجهل والغباء والتعجرف والغرور والفزع والانزعاج والخوف على كرسيه وعرشه وجبروته قال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣ – ١٢٤].

لقد هددهم بالتعذيب وتقطيع الأيدي والأرجل والصلب ظنًّا منه أن الذي يخامر الإيمان قلبه يرجع عنه.

كلا إنه لا يرجع عن الحق من عرفه وذاق لذته ولهذا قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ – ١٢٦]، وهكذا وقف سحرة فرعون بعد الكفر بالله مؤمنين لا يخضعون لفرعون ولا يخنعون واطمأنت نفوسهم واستغنوا بربهم ولم يلتفتوا بتهديد فرعون ولم يداهنوه أو يناوروه أو يطلبوا منه الصفح والعفو وإنما طلبوا من الله الصبر والثبات ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ – ١٢٦]، وكل من تيقن وعرف الإيمان لا يهمه أي تهديد ولا وعيد ويتلاشى عنده كل عذاب في سبيل دينه ولا يحيد ولكن الطواغيت الجهلة لا يعرفون ذلك فيهددون ويتوعدون ظانين أن مقياس المؤمنين كمقاييسهم الدنيوية.

إن المؤمنين لهم مقياس خاص بهم، إنهم يرجون رضا الله ورحمته وجنته وغفرانه ولا يهمهم في سبيل ذلك أي شيء إذا باشر الإيمان قلوبهم واليقين أفئدتهم.

بعض نعم الله تعالى على بني إسرائيل

امتن الله تعالى على بني إسرائيل بأمور كثيرة منها: -

١ - أن الأنبياء أكثرهم منهم قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧].

٢ - نجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ويذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

٣ - أغرق الله عدوهم فر عون وملأه قال تعالى: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠].

٤ - فرق الله لهم البحر وأنجاهم قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ٥٠].

٥ - بعد عبادتهم العجل عفا الله عنهم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥١ - ٥٢].

٦ - آتاهم الكتاب والفرقان قال تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣].

٧ - تاب الله عليهم بعد أن أمروا بقتل أنفسهم لأنهم اتخذوا العجل قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤].

٨ - بعثهم بعد موتهم لما قالوا لموسى: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [النساء: ١٥٣]، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦].

٩ - ظلل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وهما الفقع والطائر المسمى السماني قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧].

١٠ - لما استسقى موسى لقومه أمره الله أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

١١ - لما طلبوا من موسى الطعام المتنوع مدعين أنهم لن يصبروا على طعام واحد أنبت الله لهم البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل قال تعالى: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٦١].

١٢ - جعل الله من بني إسرائيل الملوك والأنبياء قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

١٣ - أنجاهم من عدوهم وأنزل عليهم المن والسلوى قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ ﴾ [طه: ٨٠ - ٨١]، ولكنهم طغوا فحل عليهم غضب الله -نسأل الله العافية-.

١٤ - عاهدهم الله تعالى فلم يوفوا بالعهد ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ بعدما جاءهم بكتاب مصدق لما معهم إلا أفراد قليلون قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]، ولكنهم لم يذكروا ولم يشكروا نعم الله ولم يوفوا بالعهد الذي أخذ عليهم بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ ولم يؤمنوا بالقرآن المصدق لما معهم واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً.

١٥ - اتخذوا العجل بعد ما أنجاهم من آل فرعون وفرق لهم البحر وأهلك فرعون وملأه وعفا عنهم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٩ – ٥٢].

١٦ - أمرهم موسى بأن يقتلوا أنفسهم بعد ما اتخذوا العجل فلم يفعلوا فعفا الله عنهم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤].

١٧ - قالوا لموسى عليه السلام: أرنا الله جهرة حتى نتيقن فأخذتهم الصاعقة فماتوا ثم أحياهم الله وظلل عليهم الغمام قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن

نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥ – ٥٦].

١٨ – أخرج الله تعالى لبني إسرائيل من حجر يابس الماء لما ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

١٩ – لما قال بنو إسرائيل لموسى بعد أن أنزل الله عليهم المن والسلوى وأخرج لهم اثنتا عشرة عينًا وأعطاهم أحسن الأطعمة والمشروبات قالوا: ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١]، فأعطاهم الله البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل حسب طلبهم ولم يشكروا الله وإنما طغوا وقتلوا الأنبياء وكفروا بآيات الله تعالى.

٢٠ – آتاهم الله تعالى التابوت الذي فيه سكينة من ربهم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة قيل: إن موسى خلفه عند فتاه يوشع فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت. وقيل: إن التابوت هذا سلبه عدو لبني إسرائيل وجاءت به الملائكة، وفي هذا التابوت سكينة من الله ورحمة ووقار، وفيه عصا موسى ورضاض الألواح التي تفتت بعد إلقاء

موسى للألواح، وفيه ثياب لموسى وثياب وعصا لهارون والنعلان وفيه المن والسكينة وفيه العلم والتوراة والله أعلم بالصواب.

وفي ذلك دلالة على ملك طالوت وفي هذا آية ودلالة على بعث طالوت ملكًا إن كنتم مؤمنين.

٢١ - ومن فضل الله تعالى ونعمته على بني إسرائيل أن جعل طالوت ملكًا عليهم ولكنهم احتقروا طالوتًا وقالوا: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وكان طالوت عالمًا عظيمًا وصاحب عقل وتدبر ولهذا نصر الله بني إسرائيل بسببه وبسبب وجود داود بين جنوده قبل أن يبعثه الله نبيًّا وملكًا وقد اختبروا قبل النصر بأمور:

أ - بالنهر العذب البارد مع شدة الحر وعطشهم الشديد ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ب - لما جاوزوا النهر ابتلاهم الله بكثرة عدوهم جالوت وجنوده فقالوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٢٢ - ومن نعم الله تعالى عليهم أن هزم جالوت وقتل قتله داود عليه السلام ولقد نصر الله بني إسرائيل بسبب سياسة طالوت الحكيمة وشجاعة داود عليه السلام الذي كان قبل بعثته شابًّا قويًّا من جنود طالوت قال الله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٢٣ - من نعم الله على بني إسرائيل أن أحياهم بعد ما أماتهم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٧].

٢٤ - من نعم الله تعالى على موسى وهارون ما ذكر في الآيات ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ

ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ١١٤ – ١٢٢]، لقد نجاهما الله تبارك وتعالى من الرق الذي لحق ببني إسرائيل ومن الغرق الذي لحق فرعون ونصرهم الله وآتاهما التوراة وهداهما إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام وترك عليها في الآخرين الثناء الجميل ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢٠].

خروج موسى عليه السلام من مصر إلى مدين ووصوله إليها

في يوم من الأيام دخل موسى عليه السلام المدينة بمصر فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من الإسرائيليين والآخر من الأقباط فاستغاث بموسى الإسرائيلي فما كان من موسى إلا أن طعن بكفه القبطي فمات القبطي بسبب هذه الوكزة ولم يكن يقصد موسى قتله وإنما أراد زجره وردعه فأسف عليه السلام وقال: ﴿ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٥]، فاستغفر ربه قائلًا: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص: ١٦]، وعزم ألا يكون ظهيرًا للمجرمين في المستقبل.

وصار يترقب أن يعاقب على فعله من فرعون واشتد به الخوف والترقب وفي اليوم التالي حصلت حالة ثانية مثل الأولى واستصرخه الإسرائيلي

واستنجد به واستنصر فقال له موسى: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٨]، ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩].

ثم بلغ فرعون أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فأرسل في طلبه ولما علم رجل مؤمن من آل فرعون أن فرعون يريد قتل موسى أشفق على موسى وجاء إليه وقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]، فخرج موسى من مصر خائفًا على نفسه لا يلوي على أحد من الخلق خرج على وجهه وهو لا يهتدي إلى طريق يعرفه وقال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١].

وكانت وجهته إلى مدين التي دعا ربها أن يهديه طريقها فقال: ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢].

فوصل إليها وهداه الله إلى بئر يستقي قوم شعيب منها أو قوم رجل صالح وكانوا أمة من الناس وجهدهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان فسألهما ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣]، فسقى لهما وبعد أن رفع الحجر الثقيل عن البئر، وهنا استدلت المرأتان على قوة موسى الجسمية ولم ينظر إليهما لأمانته وتوجه إلى ربه

بالدعاء قائلًا: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤]، واستظل تحت شجرة منتظرًا فرج الله ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥].

عمالة موسى راعيًا للغنم لدى الرجل الصالح

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سار موسى من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافيًا سقط نعلاه من الحفى، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة.

وقال عطاء بن السائب: لما قال موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤]، سمعته المرأتان فذهبتا إلى أبيهما، فاستنكر سرعة رجوعهما، فأخبرتاه مما كان من أمرهما، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص: ٢٥]، ساترة وجهها بكمها ماشية مشي حياء وستر قائلة له: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]، ولم تقل: أدعوك وإنما نسبت الدعوة إلى أبيها لئلا يوهم كلامها ريبة فلما جاء موسى إلى منزل أبيها سأله فقص عليه القصص فطمأنه

قائلًا: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥]، فأكرمه وأضافه فقالت إحدى البنتين: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ [القصص: ٢٦]، لرعي الغنم ومدحته بالقوة والأمانة ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦].

قيل: إنها عرفت قوته برفع الحجر وحده عن البئر وأمانته حيث لم يرفع نظره إليها وأمرها أن تمشي خلفه وتدله على منزل والدها بقذف حصاة حسب اتجاه البيت.

وقيل: إن الغنم السامرية التي لا يوجد مثلها إلا بالشام من نسل غنم موسى وهي مزايين الغنم(١).

قال شعيب لموسى- عليهما السلام -: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]، فقضى موسى الأجل عشر سنوات وكان خلال المدة ثاويًا في أهل مدين يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم، وتزوج ابنة شعيب وقرت عينه بها وأمن من الخوف.

(١) قال ذلك في كشف الأستار (٢٢٤٦) وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ٩١): وفيه إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف وقد يحسن حديثه وبقية رجاله رجال الصحيح، وقد وثق الشيخ أحمد شاكر أحاديث ابن لهيعة والسيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٢٦).

كلام الله لموسى عليه السلام

في ليلة مظلمة باردة سافر موسى من مدين متجهًا إلى مصر لزيارة أهله هناك وكان مختفيًا خوفًا من فرعون وملئه ومعه ولدان من زوجته وغنم كسبها في مقامه بمدين وعلمه فتاه الطريق الموصل إلى مصر واشتد به الظلام الدامس وبينما هو تائه خائف أبصر من بعيد نارًا تأجج من جانب الطور عن يمينه فقال لأهله: ﴿ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩]، وفي تلك الليلة المظلمة والخوف الشديد والضياع عن الطريق والبرد القارس: ﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٨]، ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴾ [طه: ١٢ – ١٦].

أمره ربه أولًا بخلع نعليه تعظيمًا لتلك البقعة المباركة ثم خاطبه: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠]، ثم أخبره تعالى بأن هذه الدنيا ليست دار قرار، وأن الساعة آتية لا ريب فيها: ﴿ لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ [طه:

١٥]، من خير أو شر وأمره بالعمل للدار الآخرة والسعي لها واجتناب النواهي وأهلها واتباع الهوى والعصيان ثم آنسه بقوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ١٧ – ٢١].

فلما رآها موسى تهتز كأنها جان ولى مدبرًا خائفًا غير معقب لقد رأى حية عظيمة ضخمة هائلة، لها أنياب كبيرة مسرعة كالجان مضطربة فهرب ولم يلتفت فناداه ربه: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]، وأمره ربه أن يمسكها بيده ولا يخاف منها فلما استمكن منها عادت عصاه كما هي ثم أمره ربه سبحانه أن يُدخِل يده في جيبه ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [القصص: ٣٢]، وأن يضع يده على فؤاده ليسكن جأشه وأمره بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الهدى والإيمان فما كان من موسى إلا الامتثال لأمر الله تعالى وسؤاله أن يرسل معه أخاه هارون لأنه خائف من فرعون حيث سبق أن قتل منهم نفسًا وبين أن أخاه أفصح منه لسانًا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٣ – ٣٤]، فاستجاب ربه له

وشرح صدره ويسر أمره وحل عقدة لسانه وجعل هارون وزيرًا له يشد أزره ويساعده في أمره وفي تسبيحه لربه.

مجادلة موسى وهارون لفرعون

أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون وقومه الظالمين ويدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فقال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٢ – ١٤]، قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، وقال لهما: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦ – ١٧] الذين أسرتهم وقهرتهم وقبضت عليهم واستعبدتهم وسجنت الكثير منهم ومنعتهم من عبادة الله وحده والتضرع إليه وتوحيده فما كان من فرعون المتكبر إلا أن احتقر هذه الدعوة واحتقر موسى قائلًا: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، وذكره بقتله القبطي وفررت خائفًا منا وجحدت النعمة التي أنعمناها عليك فقال موسى لفرعون: إنما فعلت ذلك قبل نزول الوحي علي وقبل إرسالي لهداية الناس وقال: إن الله تعالى أنعم علي ووهب لي حكمًا وجعلني من المرسلين وهذه النعم التي ذكرتها لي

لا تقابل استعباد بني إسرائيل كلهم واستخدامهم وإهانتهم فأنا رجل واحد وهم شعب كامل.

هنا ثار فرعون وقال: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣].

فقال موسى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤].

قال فرعون مستهزءًا بموسى ومخاطبًا قومه: ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٥] إلى هذا الكلام الباطل.

وقال موسى: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦].

قال فرعون: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧].

قال موسى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

فكانت هذه المجادلة والمحاجة والمحاورة والمناظرة حجة على فرعون المتكبر المتعالي الذي يقول لقومه: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨].

ويقول: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وهنا قال موسى لفرعون: إن معي آيات على صدقي قال فرعون: ائت بها ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾، [الشعراء:

٣٢ - ٣٣] فما كان من فرعون إلا أن اتهم موسى بالسحر وطلب من السحرة أن يأتوا بسحرهم في يوم يجتمع فيه الناس ليبطلوا سحر موسى على زعمه.

دعوة موسى لفرعون باللين واللطف

امتن الله تعالى على موسى عليه السلام بأن أنقذه من بطش فرعون حيث قتل موسى القبطي وامتن عليه بأن هداه إلى أن يذهب إلى مدين مدينة الرجل الصالح الذي زوجه بنته وقال له: ﴿ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥]، ولبث عنده يرعى غنمه مدة عشر سنين وامتن الله عليه بأن اصطنعه لنفسه وألهمه رشده وذكره وأمره أن يذهب هو وأخوه إلى فرعون الطاغية فيقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى وامتن الله على موسى بأن نزع الخوف منه وطمأنهم بأنه معهما ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، فأنتما في كنفي وحفظي ولطفي وكل ما مر عليك من تدبيري ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه: ٤١]، وأوحيت إليك برسالاتي وبكلامي فما عليك إلا أن لا تفتر عن ذكري ﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ [طه: ٤٢]، فإن الذكر لله تعالى عون للمرء.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلاَقٍ قِرْنَهُ -يعني عند القتال-»(١).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ومن رحمة الله تعالى وكرمه وفضله وإحسانه وتوفيقه وهدايته ورأفته ورحمته بخلقه أن أمر موسى وهارون أن يتلطفا مع فرعون وإن كان كافرًا جبارًا مدعيًا الألوهية حيث قال سبحانه: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤]، ثم بين لهما أن يقولا لفرعون: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه: ٤٧ - ٤٨].

قال الله لرسوله ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبما أن فرعون كان جبارًا غليظًا عنيدًا وسلطانه في مصر كبيرًا ولهم من العساكر والقوة والسطوة ما ليس لغيره وكان موسى وهارون من

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٨) وضعفه الألباني.

المستضعفين في مصرهما وقومهما العبيد عند الفراعنة فإنه تحمل هذا الأمر الكبير ومحاورة فرعون ذي السطوة والعناد والقوة أمر كبير لا يطيقه إلا ذوو الهمم العالية والقوة العظيمة.

ثبت الله موسى وهارون ووفقهما على المجادلة بالتي هي أحسن واللطف واللين حتى لا يفرط عليهما فرعون أو أن يطغى.

المحاورة بين موسى وهارون من جهة وبين فرعون من جهة أخرى

قال موسى وهارون لفرعون: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦ – ١٧].

قال فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨ – ١٩].

قال موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٠ – ٢٢].

قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

قال موسى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤].

قال فرعون لمن حوله: ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٥].

قال موسى: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦].

قال فرعون: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧].

قال موسى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

قال فرعون: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

قال موسى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ٣٠].

قال فرعون: ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٣١].

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٢ – ٣٣].

قال فرعون: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه: ٥٧ – ٥٨].

قال موسى: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٩].

لقد طلب موسى أن يكون موعدهم يوم الزينة حين يجتمع الناس في يوم العيد فينظرون فوز موسى وانهزام فرعون وأن يكون ذلك وقت الضحى عندما يجتمع الناس في أول النهار وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق واضحًا جليًّا ظاهرًا للعيان جهرًا ليعلو الحق على بصيرة ويقين ويظهر الدين وغلبة موسى وانهزام فرعون وجنوده أمام الناس.

موقف السحرة بعد بيان الحق وغلبته

جمع فرعون من كان في مصر من السحرة قيل: إن عددهم ثمانون ألف ساحر وكان فرعون قد أكرههم على تعلم السحر كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ ﴾ [طه: ٧٣]، وحضر لحضور السحرة أعداد كبيرة للفرجة واتباع السحرة إن كانوا هم الغالبين فبدأ موسى بوعظهم وزجرهم عن عاطي السحر فقال: ﴿ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾ [طه: ٦١]، فتنازعوا أمرهم واختلفوا فيما بينهم سرًّا وقالوا: ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا ﴾ [طه: ٦٣]، ثم عزموا على أن يجمعوا كيدهم وأن يأتوا صفًّا بجميع ما لديهم من المكر والخديعة والسحر لحرصهم على الأجرة من فرعون كما وعدهم بذلك وطلبوا من موسى أن يلقي ما عنده فقال لهم: ﴿ بَلۡ أَلۡقُواْۖ ﴾ ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ

مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦]، فخاف موسى واسترهبوا الناس وسحروا أعينهم وقال السحرة: ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]، وقال الله تعالى لموسى: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٨ – ٦٩]، عند ذلك ألقى موسى عصاه فإذا هي حية تسعى وإذا هي تلقف ما يأفكون وأبطل الله سحرهم وكيدهم وحق الحق ووقع وبطل الباطل وزهق ولقفت عصا موسى جميع ما لديهم من السحر والناس ينظرون ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٩ – ١٢٢]، وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له ولم يخافوا من بطش فرعون وتهديده ووعيده فقال فرعون: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١]، ولكن السحرة بعد إيمانهم صاروا أقوياء لا يهمهم عذاب فرعون وصار عندهم الخوف من الله فقالوا: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٢ – ٧٣].

هنا سجد السحرة لله رب العالمين وقالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢١ – ١٢٢]، وقالوا: ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٥ – ١٢٦] وقالوا: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥١]، ولما هددهم فرعون قالوا له:يخوفونه من بأس الله ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٤ – ٧٦]، ثم سألوا ربهم أن يفرغ عليهم الصبر ويتوفاهم على الإسلام ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

موقف موسى وقومه من تهديدات فرعون وملئه

قال الملأ من قوم فرعون: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وهكذا البطانة السيئة تشير على الملوك والرؤساء بالشر فأجابهم فرعون: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

قال موسى لقومه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨ – ١٢٩]، ثم التفت فرعون إلى تهديد موسى وطلب من قومه وملئه أن يمكنوه من قتل موسى ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]، وهكذا الجبابرة يرون الحق فسادًا والشر صلاحًا فاستعاذ موسى بربه العظيم ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧]، وهنا انبرى صادق الإيمان يقال: إنه ابن عم فرعون وكان يكتم إيمانه خوفًا على نفسه قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٨ – ٢٩].

وهكذا صار الفساد لدى فرعون رشادًا والصلاح فسادًا وانتكس فكره كما ينتكس فكر كل متكبر عن الحق، وهذا الرجل الصالح قال كلمة الحق

عند سلطان جائر وهذا أفضل الجهاد كما قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»(١).

خطبة فرعون في قومه

قال الله تعالى عن خطبة فرعون في قومه: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥١ – ٥٣]، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٤ – ٥٥].

لقد كان فخره بالملك وزخرف الحياة والأنهار التي تجري من تحته والكبر واحتقار موسى الذي وصفه بأنه مهين ولا يكاد يبين وكانت نظرته إلى متاع الحياة الدنيا إذ يقول: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٣]، وهكذا النظرة للمتكبرين الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم وهكذا يكون احتقارهم لغيرهم.

(١) صححه أبو داود (٤٣٤٤) ورواه ابن ماجه (٤٠١١) والترمذي(٢١٧٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩١).

خطبة موسى في قومه

قال الله تعالى عن خطبة موسى في قومه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧].

موقف قوم موسى

قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٥ – ٨٦].

وقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

خطبة الرجل المؤمن

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر: ٣٠ – ٣٥].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي

بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٨ – ٤٤].

عذاب آل فرعون

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، هذا عذابهم في البرزخ وعذابهم في الآخرة أما في الدنيا فقال الله تعالى عن عذابهم: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ١٣٠ – ١٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

لقد قلت ثمرت الأشجار وقلت الأمطار وأصيبوا بالطوفان وتلف الزروع وكثرة الموت والطاعون والجراد الذي أكل زروعهم وثمارهم وأصيبوا بالقمل والسوس الذي يفسد الحبوب والدبا وهو صغار الجراد والبراغيث والقرد والضفادع والدم والرعاف فلا يستقون من النيل شيئًا إلا

وجدوه دمًا عبيطًا وأصيبوا بالأمراض الفتاكة فقالوا لموسى: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فدعا موسى ربه فكشف عنهم ولكنهم لم يفوا بوعدهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٥ – ١٣٦].

ولكنهم مع هذه الآيات كذبوا بآيات الله واستكبروا وعاندوا وكلما دعا موسى لهم استجاب الله له ورفع عنهم العذاب عادوا مرة ثانية وثالثة ورابعة وهكذا لم يفوا بالوعد والعهد ولما أقيمت الحجة عليهم والأعداء إليهم أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وجعلهم عبرة لمن اعتبر قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥ – ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٤٠ – ٤٢].

مصير المؤمنين من آل فرعون ومن قوم موسى

هلك فرعون وملؤه وكثير من قومه ولم يؤمن إلا القليل من الأقباط قيل: إن الذين آمنوا ثلاثة: امرأة فرعون آسية ومؤمن آل فرعون وهو الذي حاج عن موسى عليه السلام والرجل الناصح الذي جاء يسعى من أقصى المدينة كما أسلم السحرة على قول أنهم من الفراعنة الأقباط وقيل: إنهم من بني إسرائيل .

قال الله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].

قيل: إن هؤلاء الذين أسلموا المنوه عنهم في هذه الآية الكريمة هم شباب من قوم فرعون الأقباط. وقد رجح ذلك كثير من العلماء لأن السياق يدل على ذلك.

وقيل: على موسى لقربه وكان إيمانهم خفية لخوفهم من فرعون وجبروته وسطوته ولخوفهم من ملئهم أن يخبروا عنهم فيفتنوهم في دينهم.

وأخذ موسى عليه السلام يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم التوحيد والعبادة وفضائل الأعمال وأخذ يناديهم يا قوم حيث دخل معهم المسلمون من الأقباط وكان يناديهم قبل إسلام بعض الأقباط: يا بني إسرائيل ولا شك أن

الرابطة الصحيحة القوية هي رابطة الدين لا رابطة النسب فأمرهم موسى بالتوكل على الله قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٤ – ٨٦]، ومن توكل على الله جعل الله له من أمره فرجًا وأمر موسى المسلمين أن يجعلوا بيوتًا معروفة لديهم يؤمون إليها للصلاة ويجعلونها قبلة لهم وأن يقيموا الصلاة التي هي عماد الدين .

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧]، ولا شك أن الصلاة معينة على الصبر والثبات على الحق قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

دعاء موسى على فرعون وملئه

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٨ – ٨٩].

لقد ثار الغضب في قلب موسى على فرعون لتكبره وعناده وصده عن سبيل الله وعتوه وتمرده وبقائه على الباطل ومكابرته مع ما جاءه من البينات والآيات ومع ما أعطاه الله من الأموال الكثيرة والزينة في الحياة الدنيا التي استخدمها في معصية الله والصد عن سبيله.

لقد بنوا المباني العظيمة والأهرامات والقصور وركبوا المراكب الضخمة وسكنوا القصور الواسعة وأكلوا المآكل الشهية وصار لهم صولة وجولة وقوة ومنعة ومع كل ذلك زاد تكبرهم وتجبرهم فدعا عليهم موسى بأن يطمس الله على أموالهم فيهلكها ويذهب زروعهم، وهذا الغضب من موسى غضب لدين الله تعالى فاستجاب الله له كما استجاب لنوح حين دعا على قومه ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٧].

وكان هارون يؤمن على دعاء أخيه قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

أما رسولنا محمد ﷺ فلم يدع على قومه كافة وإنما رجا من ربه أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وعفا عن من قدر عليه منهم «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» وإنما دعا على نفر منهم لحكمة بالغة-فصلوات الله على أنبياء الله أجمعين-.

خروج بني إسرائيل من مصر وطلب فرعون وملئه لهم

خرج موسى وقومه من مصر متوجهين إلى بلاد الشام بعد أن أوحى الله إليه بأن يخرج هو المؤمنون منهم قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٢]، عند ذلك غضب فرعون وأرسل إلى المدائن أن بني إسرائيل خرجوا وأغضبوه وأغاظوه فجمع للحوق بهم أعدادًا كبيرة من الجنود وخرج من مصر ومن جناتها وعيونها قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٣ – ٥٦].

وكان اتجاه موسى وقومه إلى جهة المشرق حيث الشام فلما قرب موسى وقومه من البحر وصل فرعون وقومه إلى مقربة منهم فصار البحر أمامهم وفرعون وملأه وجنده من خلفهم فقال أصحاب موسى: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال موسى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢].

ثم أوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وذلك صباحًا عند طلوع الشمس.

يقال: إن الجبال الشاهقة كانت عن يمينهم وشمالهم فلا يستطيعون الهروب، البحر أمامهم، وفرعون خلفهم، والجبال عن يمينهم وشمالهم،

فانهارت قوى بني إسرائيل أما موسى فهو متوكل على الله الذي أمره أن يضرب بعصاه البحر فانفلق وعبر موسى وقومه وخرجوا ثم دخل فرعون وملأه فلما استكملوا الدخول رجع البحر إلى حالته الأولى وأغرق الله فرعون وملأه وقومه ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨].

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]، يابسًا ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨].

وتركوا الجنات التي كانوا ينعمون بها في مصر والفواكه والنعم ونجى الله موسى وقومه من عذابهم وعذاب فرعون الطاغي المسرف المتعالي في الأرض بغير حق أما فرعون فإنه لما أدركه الغرق ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]

قال الله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس: ٩١ – ٩٢].

فالحمد لله رب العالمين.

نهاية فرعون وعدم قبول توبته

نهايته سيئة حقت عليه كلمة العذاب والهلكة على الكفر وأخذت الأمواج تخفضه وترفعه وبنو إسرائيل ينظرون إليه ولم ينتفع بالتوبة بعد عصيانه من قبل يقول تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١]، ونجى الله جسمه وبدنه ليكون عبرة للمعتبرين إلى يوم القيامة وهكذا كل من عاند وكابر وظلم لا يؤمن قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦ – ٩٧]، إنه إذا نزل العذاب أو غرغرت الروح لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤ – ٨٥].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]»،

قَالَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ حَالًا مِنْ حَالِ الْبَحْرِ، فَدَسَّيْتُهُ فِي فِيهِ، مَخَافَةَ أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ»(١).

وهكذا خاتمة الإنسان من جنس عمله نسأل الله تعالى حسن الخاتمة قال تعالى عن الكفار الذين يقولون: ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وكان هلاك فرعون وجنوده ونجاة موسى وقومه في يوم عاشوراء.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ وَاليَهُودُ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ ظَهَرَ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوا»(٢).

(١) رواه أحمد (٢٨٢٠) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (١ / ٣٠٩).
(٢) رواه البخاري (٤٦٨٠).

أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون

ورث بنو إسرائيل أموال الفراعنة وأملاكهم ورفعهم الله بعد ذلة وضعف وجعلهم أئمة للناس وورثوا أرض الشام شرقًا وغربًا ودمر الله ملك فرعون وقومه وعروشهم وسلبهم العز الذي يتنعمون به في دنياهم وأهلك جنودهم وأمتعتهم وحمل بنو إسرائيل معهم ما قدروا على حمله من متاع فرعون وملئه ومن ما ذكره ابن كثير الحلي الكثير والأنعام وكان عددهم ستمائة ألف رجل سوى الذراري وكان مدة إقامتهم بمصر أربعمائة سنة وثلاثين وسمي هذا العام سنة الفسخ واتخذوه عيدًا من أعيادهم التي منها عيد التعطير وعيد الحمل وهو أول السنة وحملوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وضربوا دفوف النصر بعد إغراق فرعون وملئه.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ولما جاوز بنو إسرائيل البحر الذي غرق فيه فرعون وأنجاهم الله أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، قال موسى لهم: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ

مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩]، وهذا من جهلهم وضلالهم مع أن الله أنجاهم من عدوهم وشاهدوا هلاك فرعون ومن معه فلم يحمدوا الله على ما أنعم عليهم من النجاة من استعباد الفراعنة لهم.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ حُنَيْنٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكُفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَنُوطُونَ سِلاَحَهُمْ بِسِدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»(١).

ولما وصل موسى وقومه قرب بيت المقدس وكان فيه الجبارون من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم قال موسى لقومه: ادخلوا عليهم وأجلوهم من بيت المقدس فإن الله كتبه لكم على لسان إبراهيم وموسى فأبوا ونكلوا عن الجهاد فسلط عليهم الله الخوف والهلع وألقاهم في التيه يسيرون تائهين أربعين سنة قال الله تعالى على لسان موسى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٩٠٠) وصححه.

ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢١ – ٢٤].

قال موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥]، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

روى الإمام أحمد أَنَّ الْمِقْدَادَ رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ»(١).

دخول بني إسرائيل في التيه

بعد أن عصى بنو إسرائيل موسى عليه السلام في قتال الجبارين عاقبهم الله في التيه يتيهون في الأرض أربعين سنة في أرض سيناء حول الطور واعتذر موسى لربه تعالى قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ

(١) رواه البخاري في الجهاد (٣٩٥٢) وأحمد (١٨٨٢٧) واللفظ له.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، فقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، وعوقبوا على نكولهم وعصيانهم بالتيه حتى ذهب جيل وجاء جيل آخر كانوا يسيرون في الأرض على غير مقصد ليلًا ونهارًا وصباحًا ومساء ومات الجيل الأول وجاء جيل جديد خلال الأربعين سنة.

فانظر رحمك الله إلى الفرق بين أصحاب موسى وبين أصحاب محمد ﷺ يوم بدر لما استشارهم النبي ﷺ في الذهاب إلى القتال، فتكلم أبو بكر ثم تكلم المهاجرون ثم كرر رسول الله ﷺ قولته: «أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي»[1] فما كان من سعد بن معاذ رضي الله عنه إلا أن تكلم فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: فقد آمنا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخُضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعلّ الله أن يريك منا ما تَقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله.

(١) رواه البخاري (٤٧٥٧) و(٢٧٧٠).

الوصايا العشر التي أوصى الله بها بني إسرائيل

هذه الوصايا مجموعة في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ – ١٥٣].

عشر كلمات أجملت في هذه الآية وهي كما قال العلماء في التوراة:

١ – الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له.

٢ – النهي عن الحلف بالله كاذبًا.

٣ – الأمر بالمحافظة على السبت والتفرغ فيه للعبادة.

٤ – إكرام الوالدين.

٥ – النهي عن القتل بغير حق.

٦ – النهي عن الزنا.

٧ – النهي عن السرقة.

٨ – النهي عن شهادة الزور.

٩ – النهي عن مد العين إلى بيت صاحبك.

١٠ – النهي عن الحسد.

وهي كلها في دين الإسلام وأبدل السبت بيوم الجمعة الذي هو عيد الأسبوع.

أما اليهود فبدلوا وحرفوا وعصوا وأولوا ثم بعد ذلك سلبوها فصارت منسوخة مبدلة.

طلب موسى عليه السلام من ربه أن يسقيهم الماء الزلال

لقد استسقى موسى لقومه فاستجاب الله دعاءه وأمره أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا زلالًا يشربون منه ويسقون دوابهم وظلل عليهم الغمام ليقيهم من الحر، ولكنهم لم يراعوا هذه النعم العظيمة ولم يشكروها وأنزل الله عليهم المن والسلوى وهما خير الطعام فسألوا موسى

أن يستبدل هذه النعمة بالبقل والفوم والقثاء والعدس والبصل والأغذية الردئية فقال لهم: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٦١].

إن في الأمصار ما تشتهون من المآكل فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وكفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق وعصوا الله تعالى واعتدوا وطغوا ولم يتذكروا نعم الله الذي بعثهم من موتهم لما أخذتهم الصاعقة ولم يشكروه سبحانه على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥ – ٥٧]، ثم إنهم اتبعوا الشياطين وطغوا، فحل عليهم غضب الله وعقابه فهلكوا، وحق عليهم الدمار والهلاك لأنهم لم ينتهوا عن ما نهوا عنه قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨١ – ٨٢].

سؤال موسى ربه أن يريه له

أمر الله تعالى موسى أن يأتيه بعد أربعين يومًا فجاء إلى الميقات الذي وعده الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وتأهب موسى للذهاب إلى ميقات ربه، واستخلف أخاه هارون وقال له: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وكان هارون نعم الخليفة المصلح المبجل الجليل وأسرع موسى للميقات الموعود بأربعين ليلة متقدمًا بعشر ليال وذلك لشوقه إلى لقاء ربه وكلامه جاء لثلاثين ليلة فقال الله تعالى له: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣ – ٨٤]، وحصل لموسى عليه السلام ما كان يتمناه، فكلمه ربه قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومن شدة شوقه إلى رؤية ربه قال موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال الله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ»، وفي رواية: «النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ بَصَرُهُ»(١).

ومادام الجبل صار دكًّا لما تجلى رب العالمين إليه ولم يستقر مكانه فالإنسان لا يستطيع رؤية الله تعالى في هذه الحياة الدنيا ولما سئل ﷺ: «هل رأيت ربك» قال: «نور أنى أراه»(٢).

إن موسى عليه السلام تاب وأناب من هذا السؤال ونزه الله قائلًا: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

لقد اصطفى الله تعالى موسى عن البشر برسالاته وبكلامه في وقته قال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ولا شك إن إبراهيم عليه السلام أفضل ولكنه ليس في زمنه وكذا محمد ﷺ خير البرية وهو سيد ولد آدم عليه السلام وله المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فصلوات الله على الأنبياء جميعًا وسلامه.

(١) رواه مسلم (١٧٩).

(٢) رواه مسلم (١٧٨).

ما آتاه الله موسى عليه السلام من الألواح

لقد آتى الله تعالى موسى الألواح المكتوب فيها التوراة وأمره سبحانه أن يكون من الشاكرين قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

نعم لقد اصطفى الله موسى في زمانه على الناس في وقته ومعلوم أن إبراهيم الخليل عليه السلام أفضل من موسى وهو قبله ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل منهما ومن جميع الأنبياء والرسل وقد كتب في التوراة من كل شيء من المواعظ وتفصيل الحلال والحرام كما أمره الله تعالى أن يأخذ التوراة بقوة كما أمر يحيى عليه السلام بذلك قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، كما بين له تعالى أنه سينصره وينصر قومه ويريهم هلاك الفاسقين الظالمين الخارجين عن طاعة الله المكذبين لرسله قال تعالى: ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٥ – ١٤٦]، فالذي يتكبر عن آيات الله ويعرض

عنها ولا ينقاد لها ويتغافل عما فيها ولا يتفكر في معانيها ويترك العمل بمقتضاها ويعاند ويجادل ويماحل يصرفه الله عن الحق ولا يهديه إلى سبيله، أما الذي يبحث عن الحق ويلقي السمع ويبحث عن الهداية ولا يتكبر ويجاهد في الله يهديه الله إلى سبيله قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد: ١٧].

فالهمزة والتاء في اهتدوا تدل على أنهم يسعون ويبحثون عن سبيل الهداية وجزاهم الله بأن زادهم هدى وآتاهم تقواهم وهكذا الله تعالى يعطي كل من بحث عن الصواب وقبله وأذعن له راضيًا غير متكبر ولا معاند ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرب الله إليه ذراعًا ومن تقرب إليه ذراعًا، تقرب الله إليه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة سبحانه وتعالى الكريم ذو الفضل العظيم.

بنو إسرائيل أهل عناد ولا يستجيبون للحق ولا يتبعون أنبياءهم إلا بشق الأنفس قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]، وقال: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٣ – ٦٤]، وقال الله لهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٨]، فما كان منهم إلا أن حرفوا القول وهكذا هم أهل عناد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: «لما جاءهم موسى بالألواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم فقالوا: انشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها فقال موسى عليه السلام: بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مرارًا فأمر الله تعالى الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار كأنه ظلة أي: غمامة على رؤوسهم وقيل لهم: إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم فقبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم ولكنهم مع مشاهدتهم هذا الميثاق العظيم والأمر الكبير الجسيم نكثوا العهود والمواثيق وما زالوا إلى اليوم لا يوفون بميثاق ولا يؤمن لهم عهد نسأل الله العافية».

عبادة قوم موسى للعجل

لما استعجل موسى عليه السلام إلى لقاء ربه بعد ثلاثين ليلة، وكان الله تعالى قد حدد له الوقت بأربعين ليلة حيث قال: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

لما حصل هذا من موسى عليه السلام وجاء إلى الطور بعد ثلاثين ليلة قال له ربه: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٨٣]، قال موسى: ﴿ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣]، فقال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه:٨٥]، فهذا جزاء العجلة أن رجلًا من بني إسرائيل اسمه هارون السامري أخذ ما كان استعاره من الحلي فصاغ منه عجلًا وألقى فيه قبضة من التراب الذي أخذه من فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه، فلما ألقاها على العجل من الذهب خار كما يخور العجل الحقيقي، ويرى قتادة وغيره: أنه صار لحمًا وجسدًا ودمًا حيًّا يخور ويرى لم يحصل ذلك وإنما صار إذا دخلت الريح في دبره خرجت من فمه فخار كما تخور البقرة وما كان من السامري إلا أن قال لهم: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه: ٨٨]، تقدس الله تعالى وحاشا لموسى أن ينسى ربه قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾ [طه: ٨٩]، إنه حيوان لا يتكلم ولا يجاوب أحدًا ولا يملك ضرًّا ولا نفعًا ولا يهدي إلى رشد ولما جاء موسى إليهم وجدهم يعبدونه فأنذرهم وخوفهم فندموا وعرفوا ضلالهم قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩]. وغضب موسى عليهم وألقى الألواح من الغضب وأخذ

يجر شعر أخيه هارون من رأسه ولحيته قال أخوه هارون: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٤]، ثم أقبل على قومه يعنفهم ويسفه أحلامهم ويوبخهم على صنيعهم فاعتذروا بأعذار لا صحة لها وقالوا: ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٧]، ثم قال موسى لأخيه: ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ [طه: ٩٢ – ٩٣]، لماذا لم تأتني وتخبرني فبين له هارون أنه خشي الفرقة وعدم امتثال أمر أخيه بأن يبقى عندهم خليفة له وبعد أن سكن الغضب عن موسى عليه السلام دعا ربه فقال: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وكان هارون عليه السلام قد حذرهم من مغبة فعلهم وأن هذا العجل الخوار فتنة وأن الرب تعالى الرحمن وأمرهم باتباعه لكن قومه قالوا له: ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١]، ثم إن موسى عليه السلام خاطب السامري قائلًا وأنبه فبين له السامري فعله وسببه وأن هذا من تسويل النفس قال موسى له: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٧ – ٩٨].

وهنا نال نبي إسرائيل ذلة وغضبًا من الله وأمر الله تعالى هؤلاء الذين عبدوا العجل بأن يقتلوا أنفسهم توبة لهم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، ولكن الله تعالى لم يقبل توبة الذين اتخذوا العجل إلا بقتل أنفسهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤].

قيل: إنهم انقسموا قسمين قسمًا عبدوا العجل وقسمًا لم يعبدوه فأخذ الذين لم يعبدوا العجل السيوف وألقى الله عليهم الضباب فقتلوا عابدي العجل وعددهم سبعون ألفًا ذكر ذلك ابن كثير والله أعلم.

اختيار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلًا لميقات ربه

هؤلاء السبعون من الرجال هم علماؤهم ومعهم موسى وهارون ويوشع فلما وصلوا إلى الجبل متطيبين متطهرين مغتسلين وكان على الجبل غمام ونور وصعد موسى إلى الجبل وكلم ربه سبحانه وذكر بعض المفسرين

أنهم سمعوا كلام الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

والصحيح: أن هذه الآية لا تدل على سماعهم الحسي فهي مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦] فقال هؤلاء السبعون المختارون من موسى عليه السلام: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [النساء: ١٥٣]، ثم بعثهم الله من بعد موتهم فلم يشكروه بعد أن دعا موسى ربه قائلاً: ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَّ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وهذا اختبار وابتلاء وامتحان وقدر من الله وكان من دعاء موسى لربه تعالى: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فقال الله تعالى: ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧]، وفي هذا ذكر لمحمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي وتنويه به وبأمته التي فضلها بأنها خير أمة أخرجت للناس، وأنهم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة أناجيلهم في صدورهم القرآن يقرؤونه ويحفظونه، يؤمنون بالكتب جميعًا، يقاتلون في سبيل الله، ويقاتلون الدجال يأخذ

فقيرهم صدقات غنيهم إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة كاملة وإن عملها ثبتت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة هم المشفعون والمشفوع لهم والحمد لله رب العالمين.

السبع الخصال التي سأل موسى به عنها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ، كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةً، وَالسَّابِعَةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا، قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَتْقَى؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى؟ قَالَ: الَّذِي يَتْبَعُ الْهُدَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: الَّذِي يَرْضَى بِمَا يُؤْتَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْقَرُ؟ قَالَ: صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ»(١).

ومعنى منقوص: أي حالته منقوصة يستقل ما أوتي ويطلب الفضل.

وروى مثله ابن جرير في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سأل موسى ربه-عز وجل-». فذكر نحوه وفيه: قَالَ: «أَيْ رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ:

(١) رواه ابن حبان (٦٢١٧).

الَّذِي يَبْتَغِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، عَسَى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هُدًى، أَوْ تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى، قَالَ: رَبِّ فَهَلْ فِي الأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: رَبِّ، فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: الْخَضِرُ، فَسَأَلَهُ السَّبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ فَأَجَابَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»(١).

وروى الإمام أحمد بن حنبل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى قَالَ: أَيْ رَبِّ، عَبْدُكَ الْمُؤْمِنُ تُقَتَّرُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، قَالَ: يَا مُوسَى هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ، فَقَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ يَوْمَ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ، لَمْ يَرَ بُؤْسًا قَطُّ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، عَبْدُكَ الْكَافِرُ تُوَسِّعُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: يَا مُوسَى هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ، فَقَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ، لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا، مُنْذُ يَوْمَ خَلَقْتَهُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ، كَأَنْ لَمْ يَرَ خَيْرًا قَطُّ»(٢)

(١) رواه ابن جرير فى تاريخه (١/ ٣٧١).

(٢) رواه أحمد (١١٧٦٧) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٧٠) فيه ابن لهيعة ودَرَّاج وثقا على ضعف فيهما.

من أسئلة موسى عليه السلام لربه تبارك وتعالى

روى ابن حبان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(١).

ولاشك أن أفضل الدعاء وأفضل ما قال صلى الله عليه وسلم وقاله النبيون: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»(٢).

سؤال بني إسرائيل لموسى: هل ينام ربك؟!

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالُوا: يَا مُوسَى، هَلْ يُصَلِّي رَبُّكَ؟ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، قَالُوا: فَهَلْ يَنَامُ رَبُّكَ؟ قَالَ: اتَّقُوا اللهَ، قَالُوا: فَهَلْ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢١٨).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٨٥) ومالك في الموطأ (١ / ٤٢٢) و (٢٤٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠٣).

يَصْبُغُ رَبُّكَ؟ قَالَ: «اتَّقُوا اللهَ»، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مُوسَى، سَأَلُوكَ: هَلْ يُصَلِّي رَبُّكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُصَلِّي وَمَلاَئِكَتِي عَلَى أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦] إِلَى آخِرِهَا، وَسَأَلُوكَ: هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ؟ فَخُذْ زُجَاجَتَيْنِ بِيَدَيْكَ فَقُمِ اللَّيْلَ، فَفَعَلَ مُوسَى -صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثٌ نَعَسَ، فَوَقَعَ لِرُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ انْتَعَشَ فَضَبَطَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ نَعَسَ، فَسَقَطَتِ الزُّجَاجَتَانِ فَانْكَسَرَتَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ كُنْتُ أَنَامُ لَسَقَطَتِ السَّمَاوَاتُ عَلَى الْأَرَضِينَ فَهَلَكَتْ كَمَا هَلَكَتِ الزُّجَاجَتَانِ بِيَدَيْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ آيَةَ الْكُرْسِيِّ»(١).

قال ذلك ابن أبي الهيثم عند تفسير آية الكرسي وذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

وروى ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى ﷺ على المنبر، قال: «وقع في نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه ملكًا فأرّقه ثلاثا، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، أمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢ / ٤٥٢).

القارورتان. قال: ضرب الله مثلا له أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»[1].

فالله تعالى لا ينام قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قصة بقرة بني إسرائيل

قال ابن عباس وعبيدة السليماني وأبو العالية ومجاهد والسدي وغيرهم: «كان رجل من بني إسرائيل غنيًا كبيرًا، له أبناء أخ يتمنون موته ليرثوه فقتله أحدهم في الليل وطرحه في مجمع الطرق فلما أصبحوا تخاصموا وبحثوا عن القاتل فذهبوا إلى نبي الله موسى عليه السلام فقال موسى: أنشد الله رجلًا عنده علم منه فلم يجب أحد فسأل الله تعالى فأمر الله تعالى بأن يذبحوا بقرة وأن يضربوا القتيل ببعضها فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى فقام وهو يشخب أوداجه فسأله موسى من قتلك؟ قال: قتلني ابن أخي ثم عاد ميتًا».

(١) تفسير ابن جرير (٥٧٨٠) (٥/ ٣٩٤).

وهذه عادة بني إسرائيل التشدد والتقعر في الأسئلة وعدم الامتثال بسرعة فشددوا على موسى بالسؤال ما هي؟ وما لونها؟ أتتخذنا هزوًا؟ إن البقر تشابه علينا فلما شددوا شدد الله عليهم في لونها وصفاتها عوان بين الكبيرة والصغيرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين لا فارض ولا بكر لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها وبعد التي واللتيا والأسئلة الكثيرة ذبحوها وما كادوا يفعلون ثم أمرهم الله تعالى أن يضربوا القتيل ببعضها.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧ – ٧٣].

فكل من شدد شدد الله عليه ودين الإسلام دين اليسر والسماحة وعدم التكلف قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وقال: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وقال عن قتيل بني إسرائيل: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

رضاعة موسى عليه السلام

أرسلت آسيا زوجة فرعون إلى من حولها وإلى جميع نساء مصر تطلب منهن إرضاع موسى حيث لم يقبل أي مرضعة فخافت عليه من الموت أما أم موسى فصارت والهة تتمنى أن يأتي إليها موسى لترضعه فقالت لبنتها: تجسسي عن موسى وقصي الأماكن حتى تجديه فذهب أخت موسى تبحث عنه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١] فذهبت إليهم وقالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢] ففرحوا بذلك فأخذوا موسى وذهبوا به إلى أمه فقرت عينها وذهب عنها الحزن والوجد وألقمته ثديها فمصه حتى امتلأ جنبه ريًا فبشروا امرأة فرعون فأرسلت إليها وقالت: أرضعي ابني هذا واجلسي عندنا فقالت أم موسى: لا أستطيع ترك بيتي وإني عليه لحافظة أمينة فرجعت إلى بيتها

ومعها ولدها وأنبته الله نباتًا حسنًا وأخذت أم موسى الأجرة من فرعون وامرأته وأعطوها الهدايا والنحل والكرامات وذهبت آسيا بالرضيع إلى فرعون فوضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون ومدها إلى الأرض فقال الزبانية والملأ والغواة: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعه فأرسل فرعون إلى الذباحين ليذبحوه، فجاءت امرأة فرعون تسعى وقالت: لا تذبحوه رضيعًا لا يفرق بين التمرة والجمرة وأتوا بهما فمد الرضيع يده للجمرة ليأخذها فصرف فرعون الذباحين ثم ترعرع الطفل في بيت فرعون حتى بلغ أشده وكانت محبته لبني إسرائيل دون الفراعنة الطغاة وفي يوم كان يمشي بالمدينة فإذا هو برجلين يتخاصمان هذا من شيعته وهذا من عدوه ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٥]، ثم قال: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[القصص: ١٦]، وقال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[القصص: ١٧]، وحصل مثل ذلك في اليوم التالي وأصبح موسى في المدينة خائفًا يترقب حيث خاف من فرعون أن يبطش به لما علم أن فرعون يبحث عنه ليقتله وقد أرسل الجواسيس ليقبضوا عليه ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]،

فخرج من مصر خائفًا يترقب متوجهًا إلى مدين وهو يدعو الله أن ينجيه من فرعون وملئه فأخذ يدعو الله ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢] حتى وصل إلى مدين وحصل له ما حصل.

قصص موسى في مدين

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾ [القصص: ٢٣].

بعد المشقة العظيمة والخوف من ضياع الطريق والخوف من أن يدركه فرعون وجنوده والجوع والعطش والتعب والنصب والسير الطويل في الصحاري والآكام والجبال والوعر والسهل حتى وصل موسى عليه السلام إلى مدين ووجد الماء والظل واستأمن بعد الخوف ورأى أناسًا يسقون وامرأتين تذودان غنمهما لا تسقيان حتى يصدر الرعاء فسقى لهما ثم ذهب إلى الظل ودعا ربه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٤]، هاتان المرأتان ابنتا شعيب الرجل الصالح لا يزاحمان الرجال لحيائهما وتربيتهما التربية الصالحة لما رجعتا إلى أبيهما استنكر سرعة عودتهما فأخبرتاه بشأن الرجل الذي سقى لهما فأمر إحداهما بأن تدعوه فدعته وكلمه شعيب فأخبره بقصته فقال له شعيب: ﴿ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥].

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]

لقد رأت المرأة من قوته، قوته في نزع الدلو وأما الأمانة فإنه لم ينظر إليها وإنما صوب رأسه إلى الأرض وكلمها وهو لا ينظر إليها وقال لها: امشي خلفي وانعتي الطريق لي فازداد شعيب من رغبته من أن ينحكه إحدى ابنتيه قائلًا: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [القصص: ٢٧] ففعل فقضى موسى الأجل عشر سنوات ثمانية واجبة واثنتين من عند موسى عليه السلام أتمها وكان طوال هذه المدة يعلم أهل مدين ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [القصص: ٤٥]، ولما انقضت هذه السنون العشر أراد موسى الرجوع إلى أهله في مصر وإلى أهله وأقاربه وأخيه فسار بأهله فرأى نارًا في ليلة شاتية ظلماء مطيرة فلما اتجه إليها كلمه ربه فطلب موسى من ربه الكريم أن يشرح له صدره وييسر أمره ويحلل عقدة من لسانه وأن يرسل إلى هارون ليشد أزره ويشترك معه في هذه الأمور الجسام وليسبحاه كثيرًا ويذكراه كثيرًا وقال لربه: ﴿ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [القصص: ٣٣]، فطمأنه ربه ثم ذهب وأهله إلى مصر بعد أن أرسل إليه وأخذ معه أخاه هارون وذهبا إلى فرعون وقالا له: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه: ٤٧]، فأنكر فرعون ذلك وزجرهما وقال:

﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦ – ١٠٨]، فاستشار فرعون ملأه فقالوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ [طه: ٦٣ – ٦٤]، فأحضر فرعون السحرة وحشر الناس ضحى وتواعدوا في يوم الزينة فألقوا عصيهم وسحرهم فألقى موسى عصاه ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥] وعذب الله قوم فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وكان موسى يطلب من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل فلم يجبه فرعون فاجتمع الإسرائيليون وخرجوا مع موسى وهارون فأرسل فر عون في المدائن حاشرين فتبعوه بجنودهم الكثيرة العظيمة فلما قاربوا البحر كان قوم فرعون وفرعون خلفهم بقوتهم الشديدة وأمام موسى وقومه البحر فقال قوم موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] قال موسى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] وعبر موسى وقومه فلحقهم فرعون وجنوده فأغرقهم الله وأنجى الله موسى ومن معه.

وهكذا نهاية الطغاة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة وذلك جزاء المؤمنين النجاة والفوز في الدنيا والآخرة -نسأل الله تعالى الفوز في الدنيا والآخرة-.

قصص موسى مع الخضر - عليهما السلام-

موسى بن عمران عليه السلام قام في يوم الأيام خطيبًا في بني إسرائيل فسأل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يقل: الله أعلم فأوحى الله إليه أن لي عبدًا في مجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أين لي منه؟ فقال الله: تأخذ معك حوتًا وتجعله في مكتل فحينما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ موسى عليه السلام حوتًا فجعله في مكتل ثم انطلق ومعه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا صخرة فوضعا رؤوسهما عليها وناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربًا فلما استيقظا ونسي صاحبه أن يخبره بما حصل للحوت انطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما جاء الغد قال موسى لفتاه: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢].

قال يوشع: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣].

قال موسى عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجَّى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. أتيتك لتعلمني مما علمت رشدًا. قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧ – ٦٨]، فأنا على علم علمني الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم مما علمك الله لا أعلمه قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

قال الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلمهم الخضر أن يحملوهما فعرفوه فحملوه بغير أجرة فلما ركبا في السفينة قلع الخضر أحد ألواح السفينة بقدوم كان معه قال له موسى: حملنا بغير نول وعمدت إلى سفينتهم فخرقتها أتريد أن تغرق أهلها؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧١ – ٧٣].

ثم خرجا من السفينة إلى الساحل فبصر الخضر غلامًا يلعب مع الأطفال فأخذ الخضر رأسه بيده وجره حتى قتله فعجب موسى ولم يصبر

قال: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٤ – ٧٥].

قال موسى: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف: ٧٦ – ٧٧].

فقال موسى: هؤلاء قوم أتيناهم ولم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧].

قال الخضر: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨]، ثم إن الخضر فسر ما قام به من عمل فقال الله تعالى عن ذلك: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩]، أسند عيبها إلى نفسه ولم يسنده إلى الله فالله تعالى ليس الشر إليه.

وهذا تأدب من الخضر عليه السلام فالسفينة لمساكين يملكونها ويقتاتون من إجارها فهم مساكين وإن ملكوا سفينة لأن من لم يجد قوت سنته مسكين وكان هناك ملك ظالم إذا وجد سفينة جديدة أخذها غصبًا فإذا وجدها مخروقة تركها لهؤلاء المساكين.

وأما الغلام فقتلته لأن له أبوين صالحين وقد أعلمني ربي أن هذا الولد غير صالح ويخشى ﴿ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف: ٨٠ – ٨١].

فنسب الخضر الإرادة لله تعالى لأنها خير أما قتله فنسبه إلى نفسه فالخير بيد الله والشر ليس إليه ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢].

فهذا الجدار المائل يخشى أن يسقط فيظهر ما تحته من الكنز فيأخذ ولا يستفيد منه الغلامان فأراد الله تعالى ﴿ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ رحمة من الله تعالى بهما ولكون أبيهما صالحًا حفظ هذا المال لهما وهذا من بركة صلاح الآباء.

وقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢] ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢] تدلان على أن الخضر نبي. وقيل: رسول والله أعلم.

وفي هذه القصة أهمية العلم والحرص على تعلمه من أهله والرحيل إليه وأن التعلم أهم من التعليم وأن الموسر يأخذ معه خادمًا يساعده وأن الشر يضاف إلى الشيطان أو إلى النفس حيث قال موسى: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣].

ومن الفوائد: أن المرء يأكل مع خادمه ولا يفضل نفسه عليه بالطعام ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]. وأن الله يعين على الصبر على الطاعات وأن الله تعالى يعلم من شاء من خلقه.

ومن الفوائد: الأدب مع المعلم ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، وأن العالم قد يخفى عيه أشياء قد يعلمها من هو أقل منزلة في العلم والفضل.

ومن الفوائد: الصبر ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، والتأني ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣].

ومنها: دفع أشد الضررين فالخضر خرق السفينة وقتل الغلام لمصلحة أكبر.

ومنها: الأدب في الكلام فالخضر قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، فنسب العيب إلى نفسه بينما قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، فنسب الخير إلى الله تعالى.

ومنها: التواضع في طلب العلم ممن هو أقل منه منزلة.

ومنها: أن العلم الصحيح هو علم الخير ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

ومنها: كراهية العجلة فلو صبر موسى عليه السلام لحصل من الخضر على علوم كثيرة.

ومنها: كراهية كثرة السؤال وأهمية التثبت والتأني عند العالم فلو تأنى موسى ولم يسأل الخضر حتى يعرف ما يريد منه وحتى يخبره الخضر بدون أن يسأله لكان في ذلك خير كثير ولكن موسى عليه السلام نسي وسأل ثم طلب العفو قائلًا: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣].

ومن الفوائد: أن القتل من كبائر الذنوب.

حديث الفتون

قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: سألت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذرّيته أنبياء وملوكًا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف ابن يعقوب؛ فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتمروا بينهم، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون

بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عامًا كلّ مولود ذكر، فيقل أبناؤهم، ودعوا عامًا لا تقتلوا منهم أحدًا، فتشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم، فتخافون مكاثرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أمّ موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهمّ والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبير، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به، فأوحى الله إليها ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري آل فرعون، فرأينه فأخذنه، فهممن أن يفتحن الباب، فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدّقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحرّكن منه شيئا، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألقي عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد

من الناس ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [القصص: ١٠] من كلّ شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم، يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جُبير، فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فلما أتت به فرعون قالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩].

قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال رسول الله ﷺ: «والذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك»(١).

كثرة دعاء موسى لربه سبحانه وتعالى

كان موسى عليه السلام يذكر الله تعالى كثيرًا ولهذا كان يقول لربه لما طلب منه أن يجعل أخاه هارون وزيرًا معه: ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٣٣ – ٣٥]؛ ولهذا لما وكز القبطي فقتله قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦]، وقال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]، وقال لما توجه

(١) تفسير الطبري (١٨ / ٣٠٧).

إلى مدين: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، ولما ورد ماء مدين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤]، وذلك لما تولى إلى الظل وسقى للمرأتين وقال: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٥ – ٣٥]، وقال لما لحقه فرعون وصار البحر أمامه والعدو خلفه قال قومه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وقال: ﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

وقال: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

روى ابن حبان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا

مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(١).

ولا شك أن الدعاء هو العبادة وأن المؤمنين يذكرون الله كثيرًا والمنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

فالدعاء ديدن الصالحين وملاذهم إلى رب العالمين ومن وفق للدعاء وفق للإجابة -نسأل الله تعالى رضاه والجنة ونعوذ به من سخطه والنار-.

(١) رواه ابن حبان (٦٢١٨).

من قصص بني إسرائيل مع موسى عليه السلام

١ - يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب ابن عمه وهو فتى موسى الذي كان معه عند ذهابه للخضر قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٠].

وفي صحيح البخاري في الأنبياء (٢٤٠١) من رواية أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يوشع بن نون وقد اتفق أهل الكتاب على نبوته بعد موسى عليه السلام.

٢ - أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يجند بني إسرائيل وأن يجعل عليهم نقباء قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢]، ولكن بني إسرائيل نقضوا العهد كعادتهم ولم يوفوا بالمواثيق التي أخذها موسى عليهم وأمرهم الله بها واختلفوا في دياناتهم ولم يوفوا بالقتال مع موسى وكان عدد النقباء الذين اختارهم موسى اثني عشر نقيبًا وأمرهم الله تعالى أن يدخلوا

مدينة الجبارين وقالوا لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤].

٣ – قال ابن كثير في تفسيره للآيات ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٧].

أنه كان فيما قال ابن كثير وغيره رجل اسمه بلعام يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما ألحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو عسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حماره فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها أشد من الأول فقامت ثم ربضت فقالت له: يا بلعام أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها وضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل ونظر إلى عسكر موسى وبني إسرائيل، وأخذ يدعو عليهم فصار لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قومه فلاموه على ذلك واعتذر إليهم بأنه لا يجري

على لسانه إلا هذا فاندلع لسانه حتى وقع على صدره فقال لقومه: الآن ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والخديعة ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويبعثوهن بالأمتعة يبعن عليهم ويتعرضن لهم ليقعوا في الزنا فإنه متى زنى رجل منهم كفيتموه ففعلوا وزينوا نساءهم وبعثوهن إلى العسكر فمرت امرأة منهم برجل من عظماء بني إسرائيل اسمه زمري بن شالوم وهو رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبة فلما خلا بها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فقام رجل اسمه فنحاص بن اليعزار فدخل عليهما القبة فقتلهما فرفع الله عنهم الطاعون وقد مات منهم سبعون ألفًا والله أعلم بصحة هذه القصة.

٤ - لقد استزل فرعون وقومه بني إسرائيل فصبروا وانتصروا ودمر الله فرعون وقومه وأورث الله تعالى بني إسرائيل الأرض المباركة أرض الشام قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] من القصور والمزارع .

قال الحسن وقتادة وغيرهما: أورث الله بني إسرائيل الشام ومصر.

وقال غيرهم: مشارق الأرض ومغاربها: جميع الأرض شرقًا وغربًا لأن من بني إسرائيل داود وسليمان اللذين ملكا جميع الأرض.

٥ - الصحيح أن الذي فتح بيت المقدس يوشع بن نون عليه السلام لا موسى عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ»(١).

وهذا الفتح لبيت المقدس لا لأريحاء ولما دخل يوشع عليه السلام أمرهم الله أن يدخلوها سجدًا أي: ركعًا متواضعين شاكرين الله تعالى على ما من الله به عليهم من الفتح العظيم الذي وعدهم الله به وتحقق وأمرهم أن يقولوا: حطة. أي: حط عنا خطايانا التي سلفت من نكولنا عن الجهاد وغيره فبدلوا القول الذي قيل لهم وقالوا: حبة في شعرة وفي رواية: حنطة في شعرة وكانوا يزحفون على أستاههم وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦١ - ١٦٢]، وهذا الرجز

(١) رواه أحمد (٨٣١٥) إسناده صحيح على شرط البخاري.

الذي نزل بهم هو الطاعون حيث مات منهم الكثير بسببه وقد توفى الله يوشع عليه السلام وعمره مائة وسبعة وعشرون عامًا فكانت مدة حياته بعد موسى عليه السلام سبعة وعشرين عامًا.

٦ - أنبياء بني إسرائيل كثيرون منهم من قص الله علينا قصصه ومنهم من لم يقصص علينا قصصه منهم: إلياس ويوشع والخضر واليسع وزكريا وداود وسليمان ويحيى والعزير وعيسى وذو الكفل وكثير من الأنبياء قتله اليهود أما عيسى عليه السلام فأرادوا قتله فلم يتمكنوا قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، ونحن نعز ونكرم عيسى عليه السلام من أن يقتله اليهود فهم يقولون: قتلناه وصلبناه وينسبون الصليب شعارًا لهم ونحن نقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه وإنما رفعه الله إلى السماء وسينزل في آخر الزمان ويقيم العدل والميزان ويحكم بالإسلام على دين خير الأنام وعلى الدين الحق دين محمد ﷺ ودين العالمين الذي ارتضاه الله للناس أجمعين فالحمد لله رب العالمين.

الأحاديث الواردة في فضل موسى عليه السلام

قال رسول الله ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَغَضِبَ، حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»(٣).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ مر ليلة أسري به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل: «هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا

(١) رواه البخاري (٦٩١٧) ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) رواه البخاري (٦٣٣٦).

(٣) رواه مسلم (٢٣٧٥).

تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي»(١).

وفي الأحاديث الصحيحة المتفق عليها أنه لما فرض الله تعالى على محمد ﷺ وأمته خمسين صلاة في اليوم والليلة مر بموسى قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإني قد عالجت بني إسرائيل قبلك أشد المعالجة وإن أمتك أضعف أسماعًا وأبصارًا وأفئدة فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ»(٢).

ولاشك في أفضلية موسى عليه السلام بعد محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام وأما شريعته عظيمة وأمته كثيرة وكبيرة وأن الأنبياء والعلماء والعباد والزهاد والملوك والأمراء والسادات والكبار من أمته كثيرون ولكنهم بعد ما بدلوا شريعتهم وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقتلوا أنبياءهم وبدلوا شرعتهم مسخهم الله قردة

(١)رواه مسلم (١٦٤ / ٢٦٤).

(٢) رواه البخاري (١٠ ٣٤).

وخنازير وغضب عليهم ولعنهم ولله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله رب العالمين.

من صفات موسى عليه السلام

١ - إن الله تعالى اصطفاه وأخلصه وجعله نبيًّا رسولًا وكلمه وقربه ووهب له من رحمته أخاه هارون نبيًّا وأن أول من يفيق حين يصعق أهل القيامة وأن الله أوحى إليه وأنه تعالى برأه مما قالوا عنه وجعله وجيهًا، وأن الله حمله التوراة وجاء بها نورًا وهدى للناس وتفصيلًا لكل شيء ورحمة ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وأن التوراة فرقان وضياء وذكر للمتقين قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣].

وقال: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ

وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣ – ١٦٤].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣].

وقال: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقال: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وقال الجن لقومهم: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

فهذه فضائل وشمائل وصفات وتعليمات وثناء على التوراة وعلى موسى عليه السلام وما لقيه من أذى قومه.

روى البخار ي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ-والأدرة: انتفاخ في الخصية -: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩][1].

(١) رواه البخاري (٣٤٠٤).

قصة قارون مع موسى

قارون ابن عم موسى عليه السلام قال ذلك ابن عباس والنخعي وغيرهما وهو قارون ابن يصهب بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث، وكان حسن الصوت بالقرآن وسمي بذلك باسم النور ولما كثر ماله نافق وجر ثيابه خيلاء وكان له كنوز كثيرة ينوء بحملها الفئام من الرجال الأقوياء قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦].

قيل: إنها تحمل على ستين بغلًا، تكبر ومنع الصدقات وتغطرس وفرح وتناسى ما حفظه من التوراة والعلوم وانشغل بجمع المال فقال له الناصحون من قومه: ﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٧]، فما كان منه إلا أن قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨]، فأنا ما أحتاج إلى ماذكرتم فأنا أهل لهذا المال وأستحقه قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]، وفي يوم من

الأيام تزين بأحسن لباس وأجمله وحوطه الخدم والحشم وركبوا المراكب الحسان وخرج متبخترًا يجر ثيابه فغبطه من يريد الدنيا وقالوا: ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [القصص: ٧٩]، قال الذين لديهم العلم والإيمان: ﴿ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠] فما كان من زهوه وافتخاره وغطرسته واحتقاره للفقراء والمساكين ومشيه على الأرض بالزينة والتبختر والكبرياء والعظمة إلا أن خسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١] وقد خسف الله تعالى به الأرض وخسف بجنوده ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١] ﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٢].

قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(١).

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٥).

لقد آذى قارون موسى عليه السلام وقال له: إنك ساحر كذاب واستكبر وعاند قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣ – ٢٤] وكان قارون عونًا لفرعون وهامان وحربًا وعداءًا لموسى وهارون-عليهما السلام- قال تعالى: ﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩ – ٤٠]، ومن لم يحافظ على الصلاة كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف(١).

طلب قوم موسى من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة غير الله وتعنتاتهم الكثيرة

من تعنتات بني إسرائيل أنهم لما أتوا على قوم يعكفون على أصنامهم لهم قالوا: ﴿ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

(١) كما ورد عن النبي ﷺ في مسند أحمد (٦٥٧٦، ٢ / ١٦٩) بإسناد صحيح.

قال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩].

ومن تعنتاتهم: اتخاذهم العجل الذي صنعه السامري وقال لهم: هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق ونسي فأخذوا يعبدونه ويقولون: سنعبده حتى يرجع إلينا موسى وأشرب في قلوبهم حب العجل، ولم يتبعوا هارون الذي قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] فأخبر الله تعالى موسى بما فعل السامري، فرجع إلى قومه غضبان أسفًا، وعاقب الله السامري، وأخذ موسى برأس أخيه يجره إليه غضبان، فاعتذر هارون قال الله تعالى: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٧ – ٩٨].

فطلب الإسرائيليون من موسى أن يسأل ربهم لهم التوبة فاختار منهم سبعين رجلًا من خيارهم وانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأض فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ثم إن موسى عليه السلام توجه بهذه النخبة إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب وأمرهم بما في الألواح من أوامر الله فأبوا أن يقروا بها ونتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم، وأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل، والكتاب بأيديهم، فأمروا أن يقولوا حطة أي: حط عنا ذنوبنا فقالوا: حنطة ثم ساروا حتى وصلوا إلى الأرض المقدسة فوجدوا فيها قومًا جبارين فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فدعا موسى عليهم وسماهم الله فاسقين وحرمهم من دخول الأرض المقدسة ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] ثم ظلل عليهم الغمام كرمًا منه وهم في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى فضلًا منه وأمر موسى أن يضرب عصاه الحجر ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٦٠].

وهكذا استمر بنو إسرائيل في التعنتات والكفر إلى يومنا هذا -نسأل الله تعالى أن ينصر إخواننا المجاهدين وأن يهلك اليهود والظالمين-

فوائد من قصص موسى عليه السلام ومن التوراة

١ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ [البقرة: ٨٧].

كل الأنبياء بعد موسى عليه السلام جاءوا بإثبات التوراة والأمر بلزومها إلى عيسى عليه السلام الذي آتاه الله البينات وأيده بروح القدس قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن (روح القدس): إنه الاسم الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقيل: المراد الإنجيل(١).

وكل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوحًا وشعيبًا وهودًا وإبراهيم وصالحًا ولوطًا وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمدًا -صلى الله عليهم وسلم-.

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٩٢].

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٦) ١/١٦٩.

البينات هي تسع آيات: العصا والسنون واليد والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر. وقيل: البينات التوراة وما فيها من الدلالات.

٣ - قوله: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٩٢]. يدل على أنهم فعلوا ذلك بعد النظر في الآيات البينات وهذا يدل على عظم جرمهم.

٤- قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٩٣].

يدل على أن الفتن إذا تقاها الإنسان بالقبول تشرب في قلبه كما قال رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ»(١).

٥- قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨].

قوم موسى سألوه أن يريهم الله جهرة فأنكر الله على أمة محمد ﷺ أن يسألوه كما سأل أصحاب موسى حيث طلب المشركون من رسولنا ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وسألوه أن يأتي بالله والملائكة قبيلًا، وأن يكون له

(١) رواه مسلم (١٤٤).

بيت من زخرف، أو يرقى في السماء ولن يؤمنوا برقيه حتى ينزل عليهم كتابًا من السماء يقرؤونه.

٦ - قال الطبري والقرطبي -رحمهما الله-: أوحى الله إلى موسى أن يسري من مصر ببني إسرائيل فأمرهم أن يستعيروا الحلي والمتاع من القبط، وأحل الله ذلك لبني إسرائيل فسار بهم موسى من أول الليل فأُعلم فرعون فقال: لا يتبعهم أحد حتى تصيح الديكة، وانشغل الأقباط، ثم أتبعوهم مشرقين وذهب موسى ناحية البحر، وكان عدد بني إسرائيل ستمائة ألف ونيفًا، وعدد الفراعنة مليون ومائتا ألف.

قيل: إن عدد أبناء يعقوب وأبناء أبنائه حين دخلوا مصر ستة وسبعون نفسًا فأنماهم الله حتى بلغوا نيفًا وستمائة ألف من المقاتلة عدا الشيوخ والذرية والنساء مع أن فرعون يقتل منهم الكثير ولكنها البركة من الله تعالى.

٧ - موسى اسم أعجمي لا ينصرف للعلمية والعجمة والأقباط يسمون الماء: «مو» و«شا»: الشجر

قال السدي: لما خافت على موسى أمه جعلته في التابوت، وألقته في اليم كما أوحى الله إليها، وذلك بين أشجار وماء، ولما خرجت جواري فرعون يغتسلن وجدنه فسمي باسم هذا المكان موسى أي: ماء وشجر.

٨ - فرق كبير بين قول موسى عليه السلام لربه: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وبين قول قومه: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣].

فقول موسى الغرض منه التلذذ برؤية ربه ومحبته والاشتياق إليه مع اليقين التام لدى موسى بالله ربًّا أما قول قوم موسى: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣].

فهو تعنت منهم وشك في وجود الله لهذا أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ثم بعثهم الله رحمة منه وفضلًا قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦]، فأحياهم الله بعد موتهم وهذا الموت الذي وقع عليهم عقوبة من الله كما قال الله تعالى للذين خرجوا من ديارهم حذر الموت: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى تفضلًا من الله عليهم والمن منه الكمأة المسماة لدينا: الفقع ففي رواية لمسلم وغيره: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»(١).

والسلوى طير يسمى السماني وهو من ألذ الطيور وأطيبه ولهذا قال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٥٧].

وقد ذكر الشعراء السلوى بقصائدهم، قال الهذلي:

(١)مسلم (٢٠٤٩).

وَقَاسَمَهُمَا بِاللهِ جَهْدًا لَأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نُشُورُهَا

وقال آخر:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ السَّلْوَاةُ مِنْ بَلَلِ الْقَطْرِ

٩- كان اليهود يقولون: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة: ١٨]؛ لأننا من سبط إبراهيم خليل الله ومن سبط إسرائيل يزعمون أنه بكر الله-لعنهم الله بما قالوا- ومن سبط موسى كليم الله ومن سبط ولده عزير ابن الله -لعنوا بما قالوا- فقال الله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، أما عذبهم بذنوبهم فلو كان أبناء الله وأحباؤه لما جعل عليهم العذاب.

١٠- قول الله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾ [البقرة: ٢١١] كفلق البحر والظلل والغمام والعصا واليد وهو سؤال توبيخ وتقريع فقد بدلوا نعمة الله بعد مجيئها وبدلوا ما في كتبهم وحرفوها وجحدوا أمر محمد ﷺ ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ٢١١].

كل الأمم قبل موسى أهلكوا بعامة
وأمة محمد دعا لها الرسول ﷺ ألا يهلكها بعامة

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [القصص: ٤٣].

عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، قال: «ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة، ألم تر أن الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣].

رفعه البزار في رواية له وقيل: إنه موقوف وهو الأظهر(١).

ودليل إهلاك الأمم بعامة قبل موسى عليه السلام قول الله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨ – ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ

(١) ابن جرير في التفسير (١٩ / ٥٨٤) وكشف الأستار (٢٢٤٧، ٢٢٤٨) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٧٧) رجاله رجال الصحيح.

فَخَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢ – ١٤]، وقال تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس: ٢٩].

وهذه الأدلة تدل على أن الأمم قبل موسى أهلكوا بعامة وليس معناه كلهم بل عمومهم أما أمة محمد ﷺ فلا يهلكون بعامة بفضل الله تعالى ثم بسبب دعوة نبينا محمد ﷺ ألا يهلكهم الله بعامة -فجازاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء- والحمد لله رب العالمين وكذلك أمة موسى عليه السلام لم يهلكوا بعامة أما قول بعض الخطباء : «ولا تبق منهم أحدًا» يقصدون اليهود فهذا اعتداء في الدعاء لأن اليهود سيبقون حتى يخرج الدجال ويتبعه من يهود أصفهان وحدها سبعون ألفًا. والله أعلم.

ما ورد عن حج موسى عليه السلام إلى مكة والبيت الحرام

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟ «قَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام وَهُوَ هَابِطٌ مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ -أي: تضرع واستغاثة بصوت مرتفع-إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّلْبِيَةِ»، حَتَّى أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ

هَذِهِ؟» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ -أي: لِيف- وَهُوَ يُلَبِّي »(١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى عليه السلام، فَرَجُلٌ آدَمُ-أي: أسود البشرة- جَعْدٌ-أي: شعره ملتو-، عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ-أي: الليف-، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى، فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ»قَالُوا لَهُ: فَإِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ: «انْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ» يَعْنِي: نَفْسَهُ(٣).

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، رَجُلاً آدَمَ، طُوَالًا، جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ»(٤).

وشنوءة من قبائل اليمن ومعنى مربوع: أي وسط بين الطول والقصر.

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٤).

(٢) وهو حديث صحيح رواه أحمد (١ / ٢٧٧) وقال الشيخ شاكر: صحيح الإسناد (٢٥٠١).

(٣) صحيح الإمام أحمد (١ / ٢٩٦) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٦٩٧).

(٤) رواه البخاري (٣٢٣٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام فَنَعَتَهُ، قَالَ: " رَجُلٌ - قَالَ: حَسِبْتُهُ قَالَ: - مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»، قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَى عليه السلام»، فَنَعَتَهُ ﷺ، فَقَالَ: «رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّهُ أُخْرِجَ مِنْ دِيمَاسٍ»- يَعْنِي حَمَّامًا -، قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»(١).

فهؤلاء الأنبياء -عليهم السلام- حجوا بيت الله الحرام البيت العتيق الذي هو أول بيت وضع للناس ﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

أحاديث عن رسول الله ﷺ بشأن موسى عليه السلام

١ - روى الْمُغِيرَةُ بْنَ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ: أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا يَدْخُلُ - يَعْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ - الْجَنَّةَ فَيُقَالُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخَلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيَقُولُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ: لَكَ هَذَا وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، وَسَأَلَ

(١) صحيح أحمد (٢ / ٢٨٢) وقال الشيخ أحمد شاكر (٧٧٨٩): صحيح الإسناد.

رَبَّهُ: أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: سَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١).

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

عن أبي عمر بن سفيان فيقال له: «أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ! قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٢).

٢ - يوشع عليه السلام هو الذي خلف موسى على قومه وهو الذي فتح بيت المقدس وهو الذي حبست له الشمس.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢١٦).
(٢) رواه مسلم (١٨٩ / ٣١٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ – وهذا الرجل قيل: إنه يوشع فتى موسى- فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمْ يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا»، قَالَ: «فَغَزَا فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلاَةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ، احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، قَالَ: «فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ، فَقَالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَبَايَعُوهُ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَبَايَعَتْهُ»، قَالَ: «فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ»، قَالَ: «فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ

(١) رواه أحمد (٨٣١٥) وهو على شرط البخاري وقال الشيخ أحمد شاكر: الأسود بن عامر من رواة هذا الحديث شاذ وقد وثقه أبو حاتم فقال: صدوق صالح. وابن المديني وابن حبان وثقاه.

بِالصَّعِيدِ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا»(١).

ما ورد من قصص الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ»(٢).

ومعنى الفروة: الحشيش الأبيض الهشيم اليابس وسمي الخضر خضرًا لحسنه وإشراق وجهه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما سمي الخضر خضرًا لأنه قعد على فروة بيضاء فاهتزت خضراء»(٣).

وهو الذي سافر إليه موسى ويوشع-عليهما السلام- فوجداه مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه فسلم موسى عليه فكشف عن وجهه فرد وقال: «أنى بأرضك السلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم».

(١) رواه مسلم (١٧٤٧).

(٢) صحيح البخاري (٣٤٠٢).

(٣) الطبراني في الكبير (١٢ / ٢٠٩) (١٢٩١٤)، وتاريخ ابن عساكر (١٦ / ٤٠٢).

ثم حصلت القصة التي في سورة الكهف وكان الخضر عالمًا علمه الله ما لا يعلمه موسى عليه السلام وقد خصه الله من العلوم اللدنية والأسرار النبوية ولو لم يكن نبيًّا لما أقدم على قتل الغلام وما ذاك إلا لوحي أوحي إليه من الله تعالى.

ومن الأدلة على نبوته: تفسيره لموسى ما حصل لهما ومن الأدلة أن موسى قال للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].

ومن الأدلة قول الله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

ومن الأدلة قول الخضر: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ﴾ [الكهف: ٨٢].

والصحيح أن الخضر قد مات لأمور منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

فالخضر قد دخل في هذا الميثاق فلو كان حيًّا في زمن الرسول ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه ويؤمن بما أنزل الله عليه وينصره وقد قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(١).

كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ العِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»(٢).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، سُئِلَ عَنِ السَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ، فَقَالَ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ نَفْسًا مَنْفُوسَةً يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»(٣).

اعتداء بني إسرائيل يوم السبت

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

(١) مسند أحمد (١٥١٥٦) والسنة لابن أبي عاصم (١ / ٢٧) وقال الألباني في الإرواء (١٥٨٩): حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري (١١٦).

(٣) صحيح رواه أحمد (١٤٤٩٣، ٣ / ٣٤٥، ٣٠٦).

الصيد يوم السبت محرم على اليهود، فاحتالوا لصيده حيث يضعون الشباك قبله بيوم فتتساقط الحوت فيه ويأخذونه يوم الأحد وهذا احتيال منهم واعتداء عاقبهم الله بأن جعل منهم قردة خاسئين.

قال العلماء: إنهم لما مسخوا إلى قردة لم ينسلوا. قال ابن عطية: وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام.

وسئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير يَا رَسُولَ اللهِ، الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، هِيَ مِمَّا مُسِخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»(١).

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ نَبِيٌّ، لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا الْمُحْصَنَةَ، وَلَا تَوَلَّوْا يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» فَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي؟» قَالُوا:

(١) رواه مسلم (٢٦٦٣).

إِنَّ دَاوُدَ دَعَا بِأَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنِ اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودُ»(١).

الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل

أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل وقد قال القرطبي في تفسيره (٤٣٦/١) من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٣ – ٦٤].

قال: «وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عليه السلام لَمَّا جَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْأَلْوَاحِ فِيهَا التَّوْرَاةُ قَالَ لَهُمْ: خُذُوهَا وَالْتَزِمُوهَا. فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ يُكَلِّمَنَا اللَّهُ بِهَا كَمَا كَلَّمَكَ. فَصُعِقُوا ثُمَّ أُحْيُوا. فَقَالَ لَهُمْ: خُذُوهَا. فَقَالُوا: لَا، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَاقْتَلَعَتْ جَبَلًا من جبال فلسطين طوله فَرْسَخٌ فِي مِثْلِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَسْكَرُهُمْ، فَجُعِلَ عَلَيْهِمْ مِثْلُ الظُّلَّةِ، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم نارا بين أيديهم، فأحاط بهم غضبه، وَقِيلَ لَهُمْ: خُذُوهَا وَعَلَيْكُمُ

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٣) وقال: حديث حسن، والنسائي (٤٠٧٨).

الْمِيثَاقُ أَلَّا تُضَيِّعُوهَا، وَإِلَّا سَقَطَ عَلَيْكُمُ الْجَبَلُ. وغرقكم البحر وأحرقتكم النار، فَسَجَدُوا تَوْبَةً لِلَّهِ وَأَخَذُوا التَّوْرَاةَ بِالْمِيثَاقِ»(١).

فقد أمروا أن يأخذوا التوراة بقوة وأن يعملوا بما فيها بنية وإخلاص وجد واجتهاد ودراسة وتدبر وحفظ لأوامرها واجتناب لنواهيها وعدم نسيان أو تضييع لحقوقها ولكنهم لم يفوا بالميثاق وتولوا من بعد ذلك وأعرضوا عن الأوامر والمعتقدات ولا شك أن الهدف الأسمى من القرآن والتوراة وغيرهما من الكتب والصحف التي من عند الله تعالى أو من رسوله ﷺ العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان أو ترتيلها فإن ذلك نبذ لها كما قال تعالى: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ: رَجُلاً فَاجِرًا، يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ لَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ»(٢).

عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ

(١) قال ذلك ابن عطية في تفسيره (١/١٥٨).

(٢) رواه النسائي (٣١٠٦).

قَرَأْنَا القُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟»(١).

وفي الموطأ أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ لِإِنْسَانٍ: «إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ حُرُوفُهُ. قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ. كَثِيرٌ مَنْ يُعْطِي. يُطِيلُونَ فِيهِ الصَّلاَةَ، وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ. يُبَدُّونَ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ. كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ، قَلِيلٌ مَنْ يُعْطِي، يُطِيلُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، وَيَقْصُرُونَ الصَّلاَةَ. يُبَدُّونَ فِيهِ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ»(٢).

المن والسلوى من أطيب الطيبات التي أنزلها الله تعالى لقوم موسى لكنهم استبدلوها بالذي هو أدنى

لقد أنعم الله على بني إسرائيل بأطيب الطيبات وهما: المن «الفقع» والسلوى وهو: طائر السماني وفضلهما للأمور الآتية:

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٣) الدارمي (٢٩٦).
(٢) الموطأ (٥٧٥) ١/ ٢٢٤.

١- أنهما لا خطر من أكلهما على صحة الإنسان مع التلذذ الكامل بتذوقهما.

٢- أنهما من منة الله تعالى على قوم موسى فأكلهما فيه شكر لله واعتراف بمنته وفضله ولهم أجر.

٣- أن الذي سألوه أن يعطيهم الله من الفوم والعدس والبصل والبقل والقثاء أدنى من المن والسلوى لهذا قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] ودونها بالقيمة والفائدة.

٤- أن الذي أعطوه من المن والسلوى ينزل عليهم من السماء أو يخرج من الأرض بسبب المطر بدون كلفة ولا مشقة.

٥- الذي ينزل من عند الله لا مرية في حله والذي ينبت من الأرض بالسقيا قد يتخللها الغصب والشبه وقد أباح الله الأكل من الطيبات كلها ولكنها تتفاوت بالطيب والحل واللذة والصحة وغير ذلك بعد ما طلبوا الأدنى وتركوا الأعلى ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، وهكذا اليهود أذلاء إلى يوم القيامة حتى حصلوا على المال والجاه ثم غضب الله عليهم بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ

وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١].

استسقاء موسى عليه السلام لقومه

لما غارت المياه وحبس القطر عن بني إسرائيل هرعوا إلى موسى فاستسقى عليه السلام فقال الله تعالى له: ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٦٠].

فأسباط بني إسرائيل اثنا عشر لكل سبط عين من تلك العيون التي انفجرت من الحجر وهؤلاء الأسباط ذرية يعقوب عليه السلام ثم أمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا من هذه الطيبات ولا يعثوا في الأرض مفسدين وأخرج الله تعالى لهم البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل حسب طلبهم وقولهم: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ ﴾ [البقرة: ٦١].

البقل: كل نبات ليس له ساق والشجر ما له ساق والقثاء: روى ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ، قَالَتْ: كَانَتْ أُمِّي تُعَالِجُنِي لِلسُّمْنَةِ، تُرِيدُ أَنْ تُدْخِلَنِي

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا اسْتَقَامَ لَهَا ذَلِكَ، حَتَّى أَكَلْتُ الْقِثَّاءَ بِالرُّطَبِ، فَسَمِنْتُ، كَأَحْسَنِ سِمْنَةٍ»(١).

والفوم: هو الحنطة على الصحيح وأنشد الأخفش:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي كَأَغْنَى قَدِمَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ

والبصل معروف قال عنه رسولنا ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»(٢).

والعدس: روي عن العدس أحاديث لا يدرى عن صحتها منها:

«عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يرق القلب ويكثر الدمع فإنه بارك فيه سبعون نبيًّا آخرهم عيسى عليه السلام» ذكر ذلك الثعالبي وغيره والله أعلم.

(١) رواه ابن ماجه (٣٣٢٤) وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم (٥٦٤).

صيام موسى وقومه يوم عاشوراء وأمر رسول الله محمد بصيامه

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟» فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»(١).

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «فأنتم أحق بموسى منهم فصوموه».

عَنْ عَائِشَةَ، رحمها الله، قَالَتْ: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لَا يَصُومُهُ»(٢).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٣١).

(٣) رواه الترمذي (٧٥٢).

والسنة: أن يصام العاشر ويوم قبله أو بعده مخالفة لليهود كما روي عن ابن عباس ذلك.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»(١).

وكانت قريش تصومه بإخبار اليهود لها لأنهم كانوا يسمعون منهم لأنهم كانوا عندهم أهل علم. وروي عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: «صُومُوا التَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ وَخَالِفُوا الْيَهُودَ»(٢).

تطير فرعون وقومه بموسى ومن معه

قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

كان الفراعنة يتطيرون ويتشاءمون من موسى ومن معه وأصل الطيرة من زجر الطير ثم عم لكل من يتشاءم منهم فكل من يأتي من الشمال يتطيرون منه ويتطيرون من الغراب وغير ذلك وقد نهى رسولنا محمد ﷺ عن الطيرة.

---

(١) رواه مسلم (١١٣٤).

(٢) رواه الترمذي (٧٥٥).

قالَ عِكْرِمَةُ رضي الله عنه: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَمَرَّ غُرَابٌ يَصِيحُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: خَيْرٌ خَيْرٌ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ما عند هذا لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ».

فلا تعلق للطير بشيء وليس لها علم بكائن ولا مستقبل ولا في الناس من يعرف منطق الطير إلا سليمان بن داود عليه السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يَلِجَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِنَّ لَهُ أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا»(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلاَثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»(٢).

فإذا خطر له عارض التطير توكل على الله ولم يؤاخذه به

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟، قَالَ: تَقُولُ: «اللهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غيرك»(٣) ثم يمضي إلى حاجته.

---

(١) فوائد تمام (٢/١٦٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٩١٠).

(٣) رواه الطبراني (٣٨) ١٣/٢٢.

وقال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الطِّيَرَةِ فَكَرِهَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ لْيَمْضِ لِحَاجَتِهِ»(١).

ثم يذهب متوكلًا على الله فإن الله يكفيه ما وجد في نفسه من ذلك كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقد أرسل الله على قوم موسى الطوفان وهو المطر الشديد والجراد والقمل والضفادع والدم فكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع فشكوا إلى موسى فقالوا: نتوب، فكشف الله عنهم ذلك فعادوا إلى كفرهم فأرسل الله إليهم الدم حتى سال النيل دمًا فإذا غرفه الإسرائيلي صار ماء ذلالًا وإذا غرفه القبطي صار دمًا وهكذا تتابعت عليهم الآيات -آيات مفصلات- ومع ذلك تكبروا عن الإيمان قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٤ – ١٣٦]. لم يرعووا ولم يتوبوا مع عظم الآيات بل كانوا عنها غافلين.

(١) مساوئ الأخلاق للخرائطي (٧٥٢) ١/٣٥٥.

المحاورات بين موسى عليه السلام وفرعون وقومه والسحرة

قال موسى: ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزخرف: ٤٦].

وقال موسى: ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٧].

قال فرعون: ﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

قال ملأ فرعون: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٤ – ٣٥].

قال آخرون من قوم فرعون: ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٣٦ – ٣٧].

قال السحرة لفرعون: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤١].

قال فرعون: ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٢].

قال السحرة لموسى: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥].

قال موسى: ﴿ أَلْقُوا۟ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

قال الله تعالى: ﴿ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [الأعراف: ١١٧].

قال السحرة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١ – ١٢٢].

قال فرعون: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

قال السحرة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥].

وقالوا: ﴿رَبَّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

قال ملأ فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

قال موسى لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

قال قوم موسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩].

قال موسى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

بسبب بغي بني إسرائيل وظلمهم حرم الله عليهم أشياء

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

حرم الله على بني إسرائيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحرم عليهم الشحم الذي على الكرسي وشحم الكليتين وكل شحم ليس على عظم إلا ما حملت ظهور البقر والغنم أو حواياهما أو ما اختلط بعظم والحوايا التي في الأمعاء وذلك التحريم جزاء على بغيهم كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. أي: بسبب ظلمهم عقوبة لهم لصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وقد نهموا عنه واستحلالهم أموال الناس بالباطل وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقولهم: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة: ٨٨] وقولهم: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] وكفرهم بآيات الله وغير ذلك.

وفي هذا دليل على أن التحريم إنما يكون بسبب ذنب ثم قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، وما أعظم جرم اليهود ولهم في الآخرة عذاب أليم كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ومن أسلم منهم رفع عنه ذلك التحريم.

فصل

قال موسى لقومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

هذا أمر من الله تعالى أن يذبحوا بقرة وخصت البقرة عن غيرها حتى تهون في أنفسهم ولا يعظموها ولا يتخذونها إلهًا كما فعلوا مع السامري وذلك أنهم وجدوا قتيلًا بين أظهرهم ولم يعرفوا من قتله ووقع بينهم خلاف حتى كادوا أن يتقاتلوا كل ينفي قتله من قبله فأمرهم موسى عليه السلام بعد ذبح البقرة أن يضربوا بعضها ببعض أي: يضربوا عضوًا من أعضائها ببعض الأعضاء فلما ضرب به صارحيا وأخبر بقاتله ثم عاد ميتًا كما كان ولكن بني إسرائيل كعادتهم:

أولًا: استهزءوا بموسى وسخروا منه وقالوا: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

ثانيًا: حصل منهم التعنت وعدم القبول والاستجابة للأمر فقالوا لموسى: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [البقرة: ٦٨]

الفارض الكبيرة التي ولدت بطونًا كثيرة والبكر الصغيرة التي لم تحمل ولكنها عوان بين ذلك وقال لهم مؤكدًا: ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [البقرة: ٦٨]، ولكنهم تعنتوا وسألوا موسى ولم يستجيبوا أول الأمر وتشددوا وشدد الله عليهم فقالوا لموسى: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٩]. أي: صفراء اللون فاقع لونها خالص لونها تعجب الناظر إليها ومع ذلك تعنتوا وقالوا لموسى: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٧٠]، أي: إن البقر يشبه بعضه بعضًا ولما قالوا: ﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٧٠]، هدوا إليها.

وقوله تعالى: ﴿ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٧١]، أي: لم يذللها للعمل ولا هي تسقي الحرث بل هي مسلمة لا شية فيها ولا عيب فهي سليمة القوائم ولا أثر للعمل فيها وليست عرجاء وليست فيها أي عيب.

روي أن رجلًا من بني إسرائيل ولد له ابن وكان له عجلة فأرسلها في غيضة وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له أمه وكان بارًّا بها: إن أباك استودع الله عجلة لك فاذهب وخذها فذهب فلما رأته البقرة جاءت إليه حتى أخذ بقرنيها وجعل يقودها إلى أمه فلقيه بنو إسرائيل ووجدوا بقرة على الصفة التي أمروا بها فساوموه فاشتط عليهم وكانت قيمها أقل مما طلب حيث طلب منهم وزنها ذهبًا فاشتروها وما كادوا يفعلون لقلة مبادرتهم إلى أمر الله وتراخيهم وتعنتهم وكثرة أسئلتهم وقد أمر رسولنا ﷺ بعدم كثرة السؤال والتعنت وبين أن دين الإسلام دين يسر وسماحة ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه فلو ذبح هؤلاء أي بقرة لأجزأت ثم بين الله تعالى قسوة قلوب بني إسرائيل عقابًا لهم فقال: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ القَلْبُ القَاسِي»[1].

(١) رواه الترمذي (٢٤١١).

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ وَقَسَاءُ الْقَلْبِ وَطُولُ الأَمَلِ وَالْحِرْصُ عَلَى الدنيا»(١).

الإنهماك في الدنيا سبب انتكاس العالم

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ، اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ، ضَلَّ»(٢).

وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ لَرَجُلاً قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ عَلَيْهِ بَهْجَتُهُ، وَكَانَ رِدْءًا لِلإِسْلاَمِ أَعْثَرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ وَانْسَلَخَ مِنْهُ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَخَرَجَ عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ الْمَرْمِيُّ أَوِ الرَّامِي؟ قَالَ:: «لَا، بَلِ الرَّامِي»(٣).

(١) رواه البزار في مسنده (٦٤٤٢) ١٣/٨٧.
(٢) رواه أحمد (٦٦٤٤) والبيهقي (١٧٧١٠) والترمذي (٢٦٤٢) وحسنه.
(٣) شرح مشكل الآثار (٨٦٥).

عَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»(١).

فالاغترار بالدنيا وزخرفها وزهرتها من العلماء سبب في إعراض العالم عن العلم والعمل والدعوة وحرصه على المال والجاه وإعراضه عن الآخرة وأعمالها.

ومثل ذلك ما وقع لبلعام بن باعوراء الذي بعثه موسى إلى ملك مدين يدعوه وقومه إلى الله حيث كان من علماء بني إسرائيل مجاب الدعوة له مكانة كبيرة لدى موسى عليه السلام فأقطعه ملك مدين أرضًا فانشغل بها وترك دين موسى وتبع دين ملك مدين.

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥– ١٧٨].

(١) رواه أحمد (١٥٧٩٤) والدارمي (٢٧٧٢) وابن حبان (٣٢٢٨) والترمذي (٢٣٦٧) وحسنه.

قصة بلعام بن باعوراء

هذا الرجل من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام قال الله تعالى عنه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

يقال: إنه ذهب إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان فأعطاه الملك وأقطعه فاتبع دين الملك وترك دين موسى فلما أقبل موسى في بني إسرائيل يريد قتال الجبارين سأل الجبارون بلعام بن باعوراء أن يدعو على موسى فقام ليدعو عليه فتحول لسانه بالدعاء على أصحابه فقيل له في ذلك فقال: لا أقدر على أكثر مما تسمعون واندلع لسانه على صدره فقال: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة وسأمكر لكم فإني أرى أن تخرجوا إليهم فتياتكم فإن الله يبغض الزنا فإن وقعوا فيه هلكوا ففعلوا فوقع بنو إسرائيل في الزنا فأرسل الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفًا(١).

وكان بلعام في مدين الجبارين انسلخ من آيات الله ومن معرفته تعالى فنزع منه العلم ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

(١) وقد ذكر ذلك الثعالبي وغيره وأورده كثير من المفسرين منهم القرطبي في تفسيره (٧ / ٣١٩) وذكر ذلك أبو حامد في كتابه منهاج العارفين كما ذكر هذه القصة عكرمة ومجاهد وغيره.

ولحق به الشيطان ثم قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، أي: لو شاء الله لرفعه بالعلم لأن العلم يرفع الإنسان قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة: ١١]، ولكنه ركن إلى الأرض والمال وسكن إلى الشهوات واللذات وأخلد إلى متاع الدنيا ولزم لذاتها وكان هواه مع الكفار ودعا على موسى ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فهو لاهث على كل حال فهو في حال الكلال والتعب يلهث، وفي حال الراحة يلهث، وفي حال الصحة يلهث، وفي حال المرض يلهث، وفي حال الري يلهث، وفي حال العطش يلهث، إن وعظ ضل وإن ترك ضل فهو كالكلب يخرج لسانه في التعب والعطش والإعياء والراحة وكل من أوتي القرآن والعلم فلم يعمل به صار مثل الكلب قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤]، وقال: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وهذا المثل ﴿ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

والهداية من الله تعالى وقد ذرأ الله لجهنم ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الذين نجاهم الله من بني إسرائيل

لم ينج الله من بني إسرائيل إلا الذين ينهون عن السوء وأما الذين ظلموا فأخذهم العذاب والظالمون هم:

١- الذين خالطوهم وآكلوهم وشاربوهم ولم ينهوهم عن المعاصي والآثام.

٢- الذين انهمكوا بالمعاصي والذنوب.

٣- الذين اعتزلوا عنهم في الصوامع يتعبدون الله ولم ينهوهم عن المعاصي.

كل هؤلاء الثلاثة الأنواع أهلكوا بعذاب الله عدا الذين ينهون عن المنكرات ويأمرون بالمعروف قال تعالى:﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وكل هؤلاء نسوا وتركوا ما ذكروا به عن قصد فجائهم العذاب البئيس، وباعدهم الله وطردهم عن رحمته وتأذن سبحانه أن يبعث

عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وقطعهم في الأرض أممًا ثم جاءت خلوف ورثت الكتاب تأخذ عرض الدنيا ويقولون على الله غير الحق.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَيَبْلَى الْقُرْآنُ فِي صُدُورِ أَقْوَامٍ كَمَا يَبْلَى الثَّوْبُ، فَيَتَهَافَتُ، يَقْرَءُونَهُ لَا يَجِدُونَ لَهُ شَهْوَةً وَلَا لَذَّةً، يَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ، أَعْمَالُهُمْ طَمَعٌ لَا يُخَالِطُهُ خَوْفٌ، إِنْ قَصَّرُوا، قَالُوا: سَنَبْلُغُ، وَإِنْ أَسَاءُوا، قَالُوا: سَيُغْفَرُ لَنَا، إِنَّا لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وفاة موسى عليه السلام وما ورد من الأحاديث فيه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ أبو هريرة: قَالَ

(١) الدارمي (٣٣٨٩).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ بِيَدِكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ»(٢).

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، وَيُونُسُ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ يُونُسُ: رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - «كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا، قَالَ: فَأَتَى مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَأَتَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى، فَقَأَ عَيْنِي، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنُفْتُ بِهِ - وَقَالَ يُونُسُ: لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ - فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ لَهُ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدِ - أَوْ مَسْكِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: فَقَالَ مَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالَ:

(١) رواه البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢).

(٢) حديث موقوف تفرد به أحمد قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٨١٧٢).

الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، قَالَ: فَشَمَّهُ شَمَّةً فَقَبَضَ رُوحَهُ، قَالَ يُونُسُ: فَرَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ فَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً»(١).

وقد توفي موسى عليه السلام على مشارف فلسطين، ولم يدخلها أما هارون فتوفي عليه السلام في فلسطين وذكر أهل الكتاب وغيرهم أن عمر موسى حين وفاته مائة وعشرون سنة والله أعلم.

كتب الله الرحمة لأمة محمد ﷺ
وفضلها على أمة موسى عليه السلام وغيرهم

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧].

رَوَى يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ الْحِمْيَرِيِّ: لَمَّا اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِ ربه قال الله تعالى لموسى: أَجْعَلُ لَكُمُ الْأَرْضَ مَسْجِدًا

(١) صحيح أحمد (١٠٩٠٤).

وَطَهُورًا تُصَلُّونَ حَيْثُ أَدْرَكَتْكُمُ الصَّلَاةُ إِلَّا عِنْدَ مِرْحَاضٍ أَوْ حَمَّامٍ أَوْ قَبْرٍ، وَأَجْعَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تقرءون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرأها الرَّجُلُ مِنْكُمْ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ. فَقَالَ ذَلِكَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَقَالُوا: لَا نُرِيدُ أَنْ نُصَلِّيَ فِي الْكَنَائِسِ، وَلَا نَسْتَطِيعُ حَمْلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِنَا، وَنُرِيدُ أَنْ تَكُونَ كَمَا كَانَتْ فِي التَّابُوتِ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا، ولا نريد أَنْ نَقْرَأَهَا إِلَّا نَظَرًا. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ فَجَعَلَهَا الله لِهَذِهِ الْأُمَّةِ. أي: أمة محمد ﷺ[1].

وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ قال: حدثنا يحيى بن أبي عمرو الشيباني قَالَ: حَدَّثَنِي نَوْفٌ الْبِكَالِيُّ: إِذَا افْتَتَحَ مَوْعِظَةً قَالَ: أَلَا تَحْمَدُونَ رَبَّكُمُ الَّذِي حَفِظَ غَيْبَتَكُمْ وَأَخَذَ لَكُمْ بَعْدَ سَهْمِكُمْ وَجَعَلَ وِفَادَةَ الْقَوْمِ لكم. وذلك أن موسى عليه السلام وَفَدَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمُ الْأَرْضَ مَسْجِدًا حَيْثُمَا صَلَّيْتُمْ فِيهَا، تَقَبَّلْتُ صَلَاتَكُمْ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ من صلى فيمن لَمْ أَقْبَلْ صَلَاتَهُ الْمَقْبَرَةُ وَالْحَمَّامُ وَالْمِرْحَاضُ. قَالُوا: لَا، إِلَّا فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ: وَجَعَلْتُ لَكُمُ

(١) تفسير الثعلبي (٤/ ٢٩١).

التُّرَابَ طَهُورًا إِذَا لَمْ تَجِدُوا الْمَاءَ. قَالُوا: لَا، إِلَّا بِالْمَاءِ. قَالَ: وَجَعَلْتُ لَكُمْ حَيْثُمَا صَلَّى الرَّجُلُ فَكَانَ وَحْدَهُ تَقَبَّلْتُ صَلاَتَهُ. قَالُوا: لَا، إِلَّا فِي جَمَاعَةٍ(١).

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا»(٢).

وَزَادَ كَعْبٌ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّأْمِ، وَأُمَّتُهُ الْحَامِدُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ مَنْزِلٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ وَيَأْتَزِرُونَ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِهِمْ، رُعَاةُ الشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلَوَاتِ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْهُمْ وَلَوْ عَلَى ظَهْرِ الْكُنَاسَةِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ مِثْلُ صَفِّهِمْ فِي الصَلَاةِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/٢٩٧).

(٢) رواه البخاري (٢١٢٥).

الرؤية وما حصل بعدها

وعد الله تعالى موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فصارت أربعين ليلة فأمر موسى أخاه هارون أن يخلفه في قومه ويصلح ولا يتبع سبيل المفسدين فساروا إلى ميقات ربه في الطور بسيناء بعد أن صام أربعين ليلة شهر ذي القعدة وعشرًا من ذي الحجة وفي ليلة النحر من عشر ذي الحجة قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلما أبطأ موسى عليه السلام على قومه بسبب العشر التي زيدت على الميعاد قالوا: إن موسى ضل ونسي ربه فنكثوا عهده وبدلوا وعبدوا العجل فكانت فتنتهم في العشر التي زاده الله وبعد تمام أربعين ليلة كلمه الله تعالى وأسمعه كلامه من غير واسطة فسأل موسى ربه النظر إليه اشتياقًا إلى رؤيته لما أسمعه كلامه قال الله تعالى له: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: في الدنيا ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فالمرء في الدنيا لا يطيق رؤية الله تعالى من شدة نوره حتى الجبال لا تطيق ذلك قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فبلغه ربه بالاصطفاء على الناس بالرسالة والكلام وأمره أن يأخذ التوراة بقوة

وكتب في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء وقال له: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، لقد كتب في الألواح ما يحتاج إليه من الدين والحلال والحرام والمواعظ المفصلة وأمر الله موسى أن ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]، ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]،وقد أراهم الله دار الفاسقين فأغرق الله فرعون وأوحى إلى البحر أن اقذف بأجسادهم إلى الساحل فنظر بنو إسرائيل إلى أجسادهم الميتة العفنة فأراهم دار الفاسقين وهلاكهم المبين.

موسى عليه السلام أعلم من الخضر ولدى الخضر علم لا يعلمه موسى

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠].

موسى بن عمران وفتاه يوشع بن نون

وفي الصحيحين عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ، فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِهِ، قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ

حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ ..... الحديث(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «لَمَّا ظَهَرَ مُوسَى وَقَوْمُهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ أَنْزَلَ قَوْمَهُ مِصْرَ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهِمُ الدَّارُ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، فَخَطَبَ قَوْمَهُ فَذَكَّرَهُمْ مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ إِذْ نَجَّاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ، وَاسْتَخْلَفَهُمْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: وَكَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ تَكْلِيمًا، وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَأَلْقَى عَلَيَّ مَحَبَّةً مِنْهُ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ، فَجَعَلَكُمْ أَفْضَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَرَزَقَكُمُ الْعِزَّ بَعْدَ الذُّلِّ، وَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ، وَالتَّوْرَاةَ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ جُهَّالًا.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: عَرَفْنَا الَّذِي تَقُولُ، فَهَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، فعتب الله عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ: أَنْ يَا مُوسَى وَمَا يُدْرِيكَ أَيْنَ أَضَعُ عِلْمِي؟ بَلَى إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَعْلَمُ مِنْكَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

قَالَ علماؤنا: وقوله فِي الْحَدِيثِ: «هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ». أَيْ: بِأَحْكَامِ وَقَائِعِ مُفَصَّلَةٍ، وَحُكْمِ نَوَازِلِ مُعَيَّنَةٍ، لَا مُطْلَقًا بِدَلِيلِ قَوْلِ الْخَضِرِ لِمُوسَى: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَعَلَى هَذَا

(١) رواه البخاري (٤٧٢٥).

فَيَصْدُقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ أَعْلَمُ من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه وَاحِد مِنْهُمَا وَلَا يَعْلَمُهُ الْآخَرُ، فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى هَذَا تَشَوَّقَتْ نَفْسُهُ الْفَاضِلَةُ، وَهِمَّتُهُ الْعَالِيَةُ، لِتَحْصِيلِ عِلْمِ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَلِلِقَاءِ مَنْ قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَعَزَمَ فَسَأَلَ سُؤَالَ الذَّلِيلِ بِكَيْفَ السَّبِيلُ، فَأُمِرَ بِالْارْتِحَالِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ مَعَكَ حُوتًا مَالِحًا فِي مِكْتَلٍ وَهُوَ الزِّنْبِيلُ فَحَيْثُ يَحْيَا وَتَفْقِدُهُ فَثَمَّ السَّبِيلُ، فَانْطَلَقَ مَعَ فَتَاهُ لَمَّا وَاتَاهُ، مُجْتَهِدًا طَلَبًا قَائِلًا: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾[1] [الكهف: ٦٠].

لعن الله اليهود القائلين: إن الله فقير ونحن أغنياء

لما نزلت الآية الكريمة ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قال قوم من اليهود ومنهم حيي بن أخطب: إن الله فقير ونحن أغنياء يقترض منا قال الله تعالى: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١] والذين قتلوا الأنبياء بغير حق أسلافهم وهم رضوا بذلك فصاروا بمنزلتهم فالرضا بالقتل قتل ومن رضي بفعل أحد فهو كفاعله وقد حسن رجل عند الشعبي قتل عثمان رضي الله عنه فقال له الشعبي: شاركت في دمه.

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٠).

نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ، وَوَهْبِ بْنِ يَهُوذَا، وَفِنْحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ وَجَمَاعَةٍ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا لَهُ: أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا عَهِدَ إِلَيْنَا فِيهِ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ، فإن جئتنا بِهِ صَدَّقْنَاكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾[1] [آل عمران: ١٨٣ – ١٨٤].

وهكذا ضلال اليهود وبعدهم عن الله وقساوة قلوبهم ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وما زال اليهود إلى اليوم قساة القلوب يفعلون بإخواننا الفلسطينيين الأفاعيل دون رحمة حيث لعنهم الله وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وزادهم طغيانًا وكفرًا.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١١/٢٥٥)

لقد أخذ الله العاصين من آل فرعون ومن بني إسرائيل - قتلة الأنبياء-

لقد أخذ الله آل فرعون والذين من قبلهم لما كذبوا بآيات الله قال الله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقال: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا بِبَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ»، فَقَالُوا: «يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ أَقْوَامًا أَغْمَارًا، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَبْتَ فِيهِمْ فُرْصَةً، وَاللَّهِ! لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[1] [آل عمران: ١٢].

وهكذا قتلة الأنبياء من بني إسرائيل وقتلة الآمرين بالمعروف والقسط من الناس من بني إسرائيل من عهد موسى إلى أن تقوم الساعة.

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٤).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١].

أنهم اليهود في كل زمان ومكان.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاَثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَامَ مِائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلُوا جَمِيعًا فِي آخِرِ النَّهَارِ مِنْ ذلك اليوم وهو الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ »(١).

وقد ادعى نفر من اليهود أنهم يحبون الله تعالى فكذبهم الله وأمر رسوله محمدًا أن يقول لهم: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن لم يؤمن بالرسول محمد ﷺ ويتبعه فهو كافر وإن ادعى أنه من أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

(١)القرطبي في تفسيره (٤ / ٤٦).

قصة طلب بني إسرائيل القتال من نبيهم

أحد أنبياء بني إسرائيل واسمه شامويل بن بال بن علقمة ويقال له: شمعون وسمعون وابن العجوز لأن أمه كانت عجوزًا فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها وسمع دعاءها وكان بعد موسى عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

هؤلاء الملأ أذلوا وغلبوا فطلبوا من نبيهم الإذن بالجهاد فلما أمروا به لم يقاتل إلا القليل منهم فنصر الله هؤلاء القلة وقد قال لهم نبيهم لما طلبوا القتال: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وطلب الحرب والقتال في دين الإسلام منهي عنه.

قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»[1].

(١) رواه البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤٢) واللفظ له.

وقد بعث الله لهم رجلًا زاده الله بالعلم والجسم اسمه طالوت صار ملكًا عليهم فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] فهو فقير ولا نسب كبير له فهم من سبط الملوك وهو ليس كذلك ولكن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقد كان أعلم منهم وأجمل وأتم جسمًا ومهابة وطلبوا آية على اختيار الله لهذا الرجل ملكًا عليهم وهم يزعمون أنهم أولى بالملك منه فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقد امتحن الله جنود طالوت بعدة امتحانات منها كثرة عدد عدوهم فانهزم منهم الكثير ومنها النهر الذي اعترض طريقهم وهم عطاش فشربوا منه ولم يمتثلوا لأمر طالوت من عدم الشرب منه إلا غرفة واحدة، ولم يبق مع طالوت إلا القليل الذين هزموا جالوت وجنوده ومن جنود طالوت يومئذ داود عليه السلام الذي قتل جالوت وآتاه الله بعد ذلك الملك والنبوة والحكمة والعلم.

الهدى والرحمة والبركة والبينة والنور والفرقان بالقرآن والتوراة

لقد كلم الله موسى عليه السلام وخصه بذلك فهو كليم الله تعالى قال تعالى: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤] وأعطاه الله تعالى التوراة تتمة لما أحسن إليه من قبل قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وهذا المزايا التي أعطى الله موسى عليه السلام تمامًا على إحسان موسى في طاعته لله تعالى وتمامًا على الذي أحسنه الله عز وجل إلى موسى عليه السلام من الرسالة وغيرها وزيادة على الذي يحسنه موسى مما علمه الله من قبل التوراة وفي التوراة هدى ورحمة وفضل وفي القرآن الكريم بركة وبينة وهدى ورحمة ونور قال الله تعالى بعد الآية السالفة: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقال تعالى عن التوراة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨ – ٤٩].

ففي التوراة الفرق بين الحلال والحرام وفيها الضياء والذكر للمتقين ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨ – ٤٩]. كما أن القرآن فيه النور والهدى والبركة قال تعالى: ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٦] وقال: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء (الطاعون) كانوا بقرية يقال لها: داوروان عددهم عشرة آلاف على قول. وذلك فرارًا من الطاعون وحذرًا من الموت، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، وإنما الحياة والموت بيد الله تعالى لا بيد غيره فلا معنى للخوف والاغترار ثم أحياهم الله وهذه ميتة عقوبة لا ميتة أجل لأن ميتة الأجل لا حياة بعدها.

قيل: إنهم رجعوا إلى بلادهم وتوالدت ذريتهم وقيل: إنهم سبط من أسباط بني إسرائيل بقيت رائحة الموت وسحنته في وجوههم إلى اليوم حيث أنهم أحيوا بعد أن أنتنوا.

وروي عن عائشة رحمها الله أنها قالت: «الفرار من الوباء كالفرار من الزحف».

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ الطَّاعُونَ، فَقَالَ: «بَقِيَّةُ رِجْزٍ، أَوْ عَذَابٍ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بني إسرائيل، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلاَ تَهْبِطُوا عَلَيْهَا»(١).

وروى البخاري والأئمة عن عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، يُحَدِّثُ سَعْدًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ الوَجَعَ فَقَالَ: «رِجْزٌ، أَوْ عَذَابٌ، عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ، ثُمَّ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ، فَيَذْهَبُ المَرَّةَ وَيَأْتِي الأُخْرَى، فَمَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا يُقْدِمَنَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ بِأَرْضٍ وَقَعَ بِهَا فَلَا يَخْرُجْ فِرَارًا مِنْهُ»(٢).

ويروى عن عائشة رضي الله عنها «لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون». قلت: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: «غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ الْمُقِيمُ بِهَا كَالشَّهِيدِ، وَالْفَارُّ مِنْهَا كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (١٠٦٥) وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري (٦٩٧٤).

(٣) مسند أحمد (٢٥١١٨).

وفي البخاري عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْنَا: أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»(١).

استعجال موسى عليه السلام للقاء ربه

وعد الله تبارك وتعالى موسى بعد أربعين ليلة للقائه وكلامه ولكن موسى عليه السلام استعجل قبل تمام الأربعين، واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، وذهب إلى الطور مكان ميعاد ربه له بعد ثلاثين ليلة أي: تقدم بعشر ليال ومعه سبعون رجلًا فسأله الله تعالى قائلًا: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٨٣].

قال بعض المفسرين: إن موسى عليه السلام لما أخذ معه سبعين رجلًا لميقات ربه ممن اختارهم لهذا سبقهم شوقًا إلى سماع كلام الله عز وجل ومن شدة الشوق إلى الله تعالى وعدم الصبر مضى وحده فلما وقف في مقامه قال له الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٨٣]. فتحير عن

(١) رواه البخاري (٥٧٣٤).

الجواب وقال: ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]، فكنى بذكر الشوق بابتغاء الرضوان من الله تعالى وهكذا الأبرار يشتاقون إلى الله تعالى وفي الصلاة لقاء بالله تعالى ومناجاة.

يروى أن الله تبارك وتعالى يقول: «طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أَشْوَقُ»(١) وكان ﷺ إذا أمطرت السماء حسر عن رأسه حتى يصيبه المطر ويقول: «إنه حديث عهد بربي»(٢) وكانت عائشة كما روي عنها تأخذ المصحف وتضعه على صدرها حبًّا واشتياقًا والأبرار يفرحون بقيام ثلث الليل الأخير حيث ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول: «هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من داع فأجيبه؟»(٣).

وقال ﷺ: «وجُعل قرة عيني بالصلاة»(٤) وكذا قراءة القرآن بشوق ومحبة ورغبة فهو سلوة المتقين، وزاد المؤمنين، فمن وفق لمحبة الله تعالى أكثر من الصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء ومن حرم حرم خيرًا كثيرًا.

---

(١) تفسير القرطبي (١١/٢٣٣).

(٢)تفسير القرطبي (١١/٢٣٣).

(٣) رواه أحمد (٩٥٩١) ١٥/٣٦٢.

(٤) رواه النسائي (٣٩٣٩) و قال الألباني رحمه الله: حسن صحيح.

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا.

لا يفلح الساحر حيث أتى

السحر صناعة ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦].

فهي تخيل وليست حقيقة وهي كيد قال السحرة: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ ﴾ [طه: ٦٤] أما عصا موسى فقد انقلبت حية تسعى ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠] انقلبت إلى حية حقيقية لا كيد ولا تخيل ولقد لقفت ما صنعوا من السحر ولكن طبيعة البشر الخوف لهذا خاف موسى قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٧ – ٦٨]

عند ذلك لما رأى السحرة عظيم الأمر الذي جاء به موسى من خرق العادة في العصا التي ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصي.

يروى أنها حِمْلُ ثَلَاثِمِائَةِ بَعِيرٍ ثُمَّ عَادَتْ عَصَا لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَتِ الْحِبَالُ وَالْعِصِيُّ.

عند ذلك قال السحرة: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٧٠] فهددهم فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتصليبهم في جذوع النخل وإيقاع أنواع العذاب عليهم ولكن الإيمان واليقين إذا خامر العقل يقلب الإنسان ويرفعه إلى أعلى قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٧٠] و ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٢ – ٧٣]

لقد صغرت في قلوبهم الدنيا فاشتاقوا إلى رؤية الله تعالى وإلى الجنة والدرجات العلى ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٦].

فوائد من قصص موسى وفرعون

من الفوائد في قصص موسى مع فرعون الكثيرة:

١- أنه ينبغي للداعية إلى الله أن يقول القول اللين قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٤].

٢- أنه ينبغي للداعية ألا يخاف إلا الله وذنوبه قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

٣- من القول اللين الذي قاله موسى لفرعون: ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٨ – ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٧].

٤- أطلع موسى فرعون على آيات الله رجاء أن يهتدي ولكنه أصر على كفره كبرًا وعنادًا ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [طه: ٥٦].

٥- خوف موسى السحرة بقوله: ﴿ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾ [طه: ٦١].

٦- الكافر والمنافق ليس له أهداف يهتم بها ويسعى لتحقيقها ويتعلق بها بعد الله إلا الأرض والتراب ولهذا قال السحرة: ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا ﴾ [طه: ٦٣]، وقال فرعون لموسى: ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٥٧].

أما المؤمن فغايته أسمى وأغلى وأعز غايته ارتفاع الإسلام ونصرته والشهادة والجنة ورضا الرحمن.

٧- فرعون على ما فيه من الكبر والغطرسة والشر أهون من كفار هذا العصر ومنافقيه وممن يدعي الإسلام منهم حيث قال: ﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ [طه: ٥٩] وقبل المناظرة والمحاورة أما هؤلاء فليسوا مستعدين

للمناظرة والحوار والمجادلة يأخذون الدعاة إلى السجون ولا يستمعون لأقوالهم.

٨- الله تعالى قوي شديد العقاب يعذب الكفار عندما يتوفاهم فتضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم ويبشرون بعذاب الحريق بسبب ما قدموا من أعمال سيئة والله ليس بظلام للعبيد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] ثم قال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

فالعذاب عند قبض الأرواح وفي القبر يعذب به الله الكافرين مثل ما يعذب آل فرعون وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤].

منن الله تعالى على موسى

١- الإيحاء إلى أم موسى أن تقذفه في اليم بعد وضعه في التابوت ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٨ – ٣٩].

٢- إلقاء المحبة على موسى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

٣- رجوعه للرضاعة إلى أمه ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: ٤٠].

٤- إنجاؤه من الغم بعد أن قتل نفسًا قال تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص: ١٥] وقال: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ [طه: ٤٠].

٥- مكوثه في مدين وزواجه بنت الرجل الصالح قال تعالى: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٠].

٦- اصطناعه وتربيته تربية ربانية قال تعالى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه: ٤١].

٧- إرساله وإرسال هارون معه وزيرًا ومعاضدًا.

٨- اختباره لموسى حتى صلح للرسالة قال تعالى: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠].

وقد ابتلي موسى بأمور كثيرة حتى صار خالصًا صالحًا للرسالة من حمله من أمه في السنة التي كان فرعون يذبح بها الأطفال ثم إلقاؤه في اليم ثم منعه من الرضاعة إلا من ثدي أمه ثم جره بلحية فرعون ثم تناوله الجمرة بدل

التمرة فدرأ عنه ذلك قتل فرعون ثم قتله للقبطي وخروجه من مصر خائفًا ثم رعاية الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق ولهذا اتخذه الله تعالى كليمًا.

٩- كلام ربه له من أكبر المنن على موسى عليه السلام وغير ذلك من المنن التي لا تحصى فله الحمد والمنة.

دعوات موسى عليه السلام عند لقاء ربه

١- قال لربه تعالى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥]. طلب الإعانة لتبليغ الرسالة وتنوير القلب بالإيمان والنبوة.

٢- ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٦]. أي: سهل على ما أمرتني من تبليغ الدعوة إلى فرعون وغيره.

٣- ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧-٢٨]. فقد كانت لثغة في لسان موسى أزالها الله تعالى حين طلب موسى من ربه إزالتها فقال سبحانه: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] فصار قوي الحجة فصيح اللسان وجادل وحاور فرعون وقومه وبني إسرائيل وقد كان سابقًا ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

٤ - وطلب موسى من ربه أن يفقهوا قوله، أي: يفقه من كلمه موسى من فرعون وقومه وغيرهم قوله وما يطلب منهم أو ينهاهم عنه

٥- كما طلب موسى من ربه أن يرسل إلى هارون فقال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [طه: ٢٩ – ٣٢] فاستجاب الله دعاءه ولم يبر أحد بأخيه أكثر من موسى عليه السلام حيث طلب من ربه أن يرسل إلى هرون والرسالة فضل عظيم.

٦- كما طلب من ربه أن يعينه على التسبيح والذكر فقال: ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾ [طه: ٣٣ – ٣٥]

قال الله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾ [طه: ٤٢].

أوامر الله تعالى لموسى عند كلامه له

أمر الله تعالى موسى عندما كلمه بعدة أوامر:

١- أمره أن يخلع نعليه وذلك للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى كما كان السلف عند طوافهم بالبيت وعند دخولهم الكعبة وعند دخول الحرم وعند المشي بين القبور كما قال رسول الله ﷺ لِبَشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ وَهُوَ يَمْشِي بَيْنَ الْقُبُورِ بِنَعْلَيْهِ: «إِذَا كُنْتَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ». قَالَ: فَخَلَعْتُهُمَا.

وكذا العرف عند الملوك أن تخلع النعال عند الدخول عليهم وكذا في الأماكن المفروشة والمحترمة.

٢- بين الله تعالى لموسى طهارة الوادي الذي كلمه به فقال: ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه: ١٢]، أي: المطهر وقد جعل الله لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض وجعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض ولبعض الحيوانات وغيرها والله يفضل ما يشاء.

٣- بين الله تعالى لموسى أنه اختاره واصطفاه من العالمين بوقته بالرسالة وفضله عليهم وقرأ حمزة «وأنا اخترناك» والمعنى واحد.

٤- أمر الله موسى عليه السلام أن يستمع لما يوحى وأن يلقي السمع وقد مدح الله تعالى حسن الاستماع بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الزمر: ١٨]، وقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

ومن آداب ذلك سكون الجوارح وغض البصر والإصغاء وحضور العقل والعزم على العمل فيكف العبد جوارحه ولا يشغلها لأن اشتغاله اشتغال للقلب عما يسمع ولا يلهو بشيء ويحضر قلبه ولا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع ويعزم على الفهم والحفظ والعمل والنشر ويحسن نيته.

٥- أمر الله موسى أن يعبده ويقيم الصلاة لذكره وفي الصلاة تضرع وقيام بين يدي الله وذكر له تعالى قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩] وقال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤].

٦- بين الله تعالى لموسى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥]، فلا يعلم وقوعها إلا الله.

٧- أمر الله موسى عليه السلام بقوله: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٦] فإنك إن فعلت ذلك هلكت.

٨- سأله عما بيمينه وهو أعلم بذلك فقال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧] قال موسى: ﴿ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ١٨].

٩- ثم أمره أن يلقيها فإذا هي حية تسعى وأمره أن يدخل يده في جيبه ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢] ثم أمره أن يذهب إلى فرعون وأمره أن يقول له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى.

خطبة المؤمن من آل فرعون

﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠- ٣١].

﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٢- ٣٣].

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٣٤].

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٣٨-٤٠].

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤١-٤٤].

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨].

﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس:٢٠-٢٥].

هذا الرجل من آل فرعون كتم إيمانه خوفًا من بطش فرعون وأعلنه بعد ذلك بصراحة وقد جاء مسرعًا يسعى يعلن موسى بأن ملأ فرعون يريدون قتله ويبين لقومه أن الملك الذي يتنعمون به الآن سيزول وأنه يخاف عليهم مثل يوم الأحزاب ومثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ومثل يوم التناد يوم ينادي الناس بعضهم بعضًا يوم يولون مدبرين ويذكرهم بأيام يوسف عندما قال لهم: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقد قال أسلافكم: ﴿ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ ﴾ [غافر: ٣٤] ولكن الله بعث موسى وهارون ثم أمرهم بأن يتبعوه ليهديهم سبيل الرشاد، ويبين لهم أن هذه الحياة الدنيا قصيرة وأنها متاع قليل وأن الآخرة هي دار القرار التي لا تفنى وقال: إنكم تدعونني إلى النار والكفر والشرك بدون

علم وموسى يدعوكم إلى العزيز الغفار ومردنا جميعًا إلى الله وستذكرون ما أقول لكم من الصدق ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

مؤمن آل فرعون

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

قال المفسرون: اسم هذا الرجل حبيب كان قبطيًا من آل فرعون قيل: إنه ابن عمه وهو الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصِّدِّيقُونَ حَبِيبٌ النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ يَس وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ: رَبِّيَ اللَّهُ وَالثَّالِثُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ»(١).

وقد كان هذا الرجل الكريم متلطفًا حكيمًا ولهذا قال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ [غافر: ٢٨]. فبدأ بالكذب تنزلًا منه مع أنه يعلم علمًا يقينيًّا أنه

(١) تفسير القرطبي (١٥/٣٠٥).

صادق ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. ولم يقل: كل الذي يعدكم وهذا من ترقيق الكلام وحسن الوعظ والتلطف وقد كان موسى قد أنذرهم بالعذاب ووعدهم به وحذرهم أن يصيبهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

روى البخاري ومسلم عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا» فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾[1] [غافر: ٢٨].

فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَيَوْمُ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، إِنَّ ذَلِكَ رَجُلٌ كَتَمَ إِيمَانَهُ، فَأَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَهَذَا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله وَدَمَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) رواه البخاري (٣٨٥٦).

كبر فرعون واستهزاؤه واحتقاره لبني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٥ – ٤٨].

إن فرعون وقومه يحتقرون بني إسرائيل ويقولون : إنهم عبيدنا وهذا الكبر والعلو منعهم من الإيمان بموسى قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [النمل: ١٤] وقال عن علو فرعون: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤] وقال عن قومه: ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

وهكذا وجد في أمة محمد -أمة الدعوة- من تكبر وسخر من المستضعفين وعلوا في الأرض قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩ – ١١١].

قال مجاهد: هم بلال وخباب وصهيب وفلان وفلان من الضعفاء كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

يسخرون منهم ويسخرونهم للاستعباد ويضحكون منهم ويستهزؤون بهم ويضحكون قال تعالى: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

وفي سورة المطففين يقول تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٣٤]، بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٣].

فالاستهزاء والسخرية بالمستضعفين والمساكين واحتقارهم والازدراء بهم من أكبر الذنوب المبعدة عن الله تعالى قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

محاجة آدم وموسى- عليهما السلام-

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا من الجنة فقال له آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ: أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»(١) ثَلَاثًا.

(١) رواه البخاري (٦٦١٤).

أَيْ: غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لِآدَمَ خَطِيئَتَهُ وَتَابَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى أَنْ يُعَيِّرَهُ بِخَطِيئَةٍ قَدْ غَفَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ وَبِمِثْلِ هَذَا احْتَجَّ ابْنُ عُمَرَ عَلَى الَّذِي قَالَ لَهُ: إِنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا عَلَى عُثْمَانَ ذَنْبٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَفَا عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام أَبٌ وَلَيْسَ تَعْيِيرُهُ مِنْ بِرِّهِ لأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي الْأَبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]؛ وَهَذَا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا قَالَ لَهُ أَبُوهُ وَهُوَ كَافِرٌ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، قالَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾[مريم: ٤٧]، فَكَيْفَ بِأَبٍ هُوَ نَبِيٌّ قَدِ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وتاب عليه وهدى.

وقول الله تعالى ﴿فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] لا يلزم أن يكون آدم غاويًا لأنه فعل ذلك مرة واحدة وتاب الله عليه فلا يقال مثلًا لمن خاط مرة واحدة إنه خياط وهذا الفعل من آدم قبل النبوة ثم بعدها ﴿ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

وما حصل للأنبياء قبل النبوة لا يكون من شرعهم، أما بعد البعثة إلى الخلق فإن الأنبياء معصومون من الخطأ والله أعلم.

السامري

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كَانَ السَّامِرِيُّ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، فَوَقَعَ بِأَرْضِ مِصْرَ فَدَخَلَ فِي دِينِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِظَاهِرِهِ، وَفِي قَلْبِهِ مَا فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ الْبَقَرِ.

فلما تعجل موسى عليه السلام للقاء ربه وطلب من هارون أن يخلفه في قومه ويصلح ولا يتبع سبيل المفسدين وطلب من قومه أن يطيعوا الله ويتبعوا أوامر هارون ووعدوه بك وأخلفوا الميعاد فلما رجع إليهم مغضبًا بعد أن أخبره الله أن قومه عبدوا العجل الذي صنعه السامري قال لهم: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ [طه: ٨٦]، قالوا: ﴿ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ [طه: ٨٧].

وأخبروه بما صنع السامري من العجل الذي وضع حليه في النار وصنع منه عجلًا له صوت إذا دخلت الريح في جوفه وخرجت من فيه وقال لهم: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [طه: ٨٨]، أي: نسيه موسى وذهب يطلبه فلم يعلم مكانه وأخطأ الطريق إلى ربه وقد أنكر عليهم هارون ولكنهم لم يطيعوه وقالوا: ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١]، فلما رجع موسى غضبان أسفًا أنكر عليهم هذا الفعل الشنيع قائلًا: ﴿ بِئْسَمَا

خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]،﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، مغضبًا ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

قال هارون: ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٤]

وقد جازى الله السامري على فعله بأن أصابه مرض لا يصبر على قرب الناس إليه ويقول: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه: ٩٧] وفي الآخرة عذاب أليم وموعد لن يخلفه أما العجل فقد أحرقه موسى، وذر رماده في اليم قال تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٧ – ٩٨].

قيل: لَمَّا نَزَلَ جِبْرِيلُ لِيَصْعَدَ بِمُوسَى عليه السلام إلى السماء، أبصره السَّامِرِيُّ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الْفَرَسِ فكان لا يلقي هذا الأثر في شيء إلا صار له روح قال تعالى عن السامري: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٦].

اليهود أهل حسد

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

لقد حسدوا النبي ﷺ وأصحابه وحسدوا العرب على النبوة وحسدوا قريشًا خاصة لأن النبوة فيهم ولا شك أن الحسد من أقبح الصفات وصاحبه مذموم مغموم وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ويسبب الحزن والهم والغم ويدل على سوء الطوية والاعتراض على قضاء الله وقدره وعدم الرضا بقسمة الله وهو أول ذنب عصي الله به في السماء حيث حسد إبليس آدم وأول ذنب عصي الله به في الأرض حيث حسد قابيل هابيل وقتله وقد آتى الله تعالى فضله إبراهيم آتاه الكتاب والحكمة وآتى داود وسليمان الملك والنبوة والحكمة ومنطق الطير ومن كل شيء وقد كثرت الأشعار الذامة للحسد.

قال منصور الفقيه:

أَلَا قُلْ لِمَنْ ظَلَّ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

وقال أبو العتاهية:

فَيَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي ... فَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي

وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ ... وَإِنْ شِئْتُ أَبْغِي شَيْئَهُمْ مَنَعُونِي

وَإِنْ نَالَهُمْ بَذْلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ ... وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتَمُونِي

وَإِنْ طَرَقَتْنِي نَكْبَةٌ فَكِهُوا بِهَا ... وَإِنْ صَحِبَتْنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي

سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمُو ... وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَجُفُونِي

وقال آخر:

حَسَدُوا النِّعْمَةَ لَمَّا ظَهَرَتْ ... فَرَمَوْهَا بِأَبَاطِيلَ الْكَلِمْ

وَإِذَا مَا اللَّهُ أَسْدَى نِعْمَةً ... لَمْ يَضِرْهَا قَوْلُ أَعْدَاءِ النِّعَمِ

وقال آخر:

إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً ... فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ

حَسَدَ الْقَطَاةَ فَرَامَ يَمْشِي مَشْيَهَا ... فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّعْقَالِ

وقال آخر:

اصْبِرْ عَلَى حَسَدِ الْحُسُو ... دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

اليهود يزكون أنفسهم

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ [النساء: ٤٩] كقولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة: ١٨] وقولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: لا ذنوب لنا وما فعلناه نهارًا غفر لنا ليلًا وما فعلناه ليلًا غفر نهارًا وهو قول الضحاك والسدي وقول مجاهد وأبي مالك وعكرمة ونحو ذلك.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذَلِكَ قَوْلُهُمْ آبَاؤُنَا الَّذِينَ مَاتُوا يَشْفَعُونَ لَنَا ويزكوننا.

وقال عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ذَلِكَ ثَنَاءُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ.

فهم يبرؤون أنفسهم من الذنوب والمعاصي، ولا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقد نهى الرسول ﷺ عن تسمية برة للبنت فالله أعلم بأهل البر من الناس وأمر بتسمية ابنة محمد بن عمر بن عطاء زينب كما نهى الرسول ﷺ عن مدح الغير وتزكيته.

روى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ- يَقُولُهُ مِرَارًا- إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»(١).

لأن ذلك يوقع الممدوح بالإعجاب بنفسه والكبر وتضييع العمل وترك العمل بالخيرات ولما وصفوا رجلًا بما ليس فيه قال: «قطعتم ظهر الرجل» وقال عن المداحين: «إِذَا رأيتم المداحين،فَاحْثُوا فِي وجوههم التُّرَابَ»(٢).

والمقصود: من يمدح الناس بما ليس فيهم وليس من يمدح الرجل بما فيه ترغيبًا له وتحريضًا للناس على الاقتداء به داخلًا في ذلك.

وقال ﷺ: «لا تطروني، كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»(٣).

روى الحكم بن إبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان منا فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) رواه البخاري (٦٠٦١) و مسلم (٣٠٠٠).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٢).

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٥).

وقال قتادة والسدي: تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أحق بالله منكم. وقال المؤمنون: نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على سائر الكتب فأنزل الله: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣].

من صفات اليهود

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٤٤ – ٤٥].

هذه صفة من صفات اليهود قوم موسى عليه السلام يطعنون في الدين ويشترون الضلالة كما قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦].

ومن صفاتهم: أنهم ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤]. وهم أعداء المسلمين قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ ﴾ [النساء: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨٢].

ومن صفاتهم: تحريف الكلم عن مواضعه قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا ﴾ [النساء: ٤٦]، ويطعنون بالدين قال تعالى: ﴿ لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ [النساء: ٤٦].

ومن صفاتهم: الافتراء على الله بالكذب قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٥٠].

ومن صفاتهم: أنهم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

ومن صفاتهم: أنهم لا يؤمنون إلا قليلًا ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦]. أي: إيمانًا قليلًا لا يستحقون به اسم الإيمان وقليل منهم من يؤمن لأن الله تعالى لعنهم ولهذا يقل منهم من يدخل في الإسلام.

قال ابن إسحاق: وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤَسَاءَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ ابْن صُورِيَّا الْأَعْوَرُ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا الله وَأَسْلِمُوا، فو اللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ الحقَّ، قَالُوا: مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَجَحَدُوا مَا عَرَفُوا، وَأَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ [النساء: ٤٧]، فتكون عيونهم وأنوفهم

وشفاههم وحواجبهم إلى القفا والدبر ويمشون القهقرى وهذا وعيد وقد رفع هذا الوعيد لإسلام القليل منهم كعبد الله بن سلام.

ومن صفاتهم: أنهم ملعونون قال تعالى: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ [النساء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٨]، وقال: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨].

ومن صفاتهم: البخل كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

واليهود فاسقون ملعونون مغضوب عليهم جعل الله منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت فهم ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٥٩ – ٦٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتى رسولَ الله ﷺ نفرٌ من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟ قال:

أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل خطأ في الدنيا والآخرة منكم ولا دينًا شرًّا من دينكم، فنزلت هذه الآية وما بعدها.

ومن صفاتهم: أنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ [المائدة: ٦١]، ويقولون لبعضهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢]، وإنهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ [المائدة: ٦٢].

وإن الربانيين منهم والأحبار لا ينهونهم قال تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وأنهم يقولون: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأنهم أهل طغيان وكفر وألقى الله بينهم ﴿ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

فهم ليسوا على شيء لأنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن صفاتهم: أنهم: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وهم عميان صم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧١].

فهم كفار ما داموا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ويتبعوا شريعته قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال تعالى في بطلان جميع الديانات بعد بعثة محمد ﷺ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

نهاية قوم فرعون ونهاية مؤمني موسى عليه السلام

لقد كانت نهاية قوم فرعون وخيمة ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

عن ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أرواح آل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي» فيقال: «هذه داركم».

وكان أبو هريرةإذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار. وإذا أمسى نادى: أمسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار. فلا يسمع أبا هريرة أحد إلا تعوذ بالله من النار.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الكافر إذا مات عرض على النار بالغداة والعشي ثم تلا ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾ [غافر: ٤٦]. وإن المؤمن إذا مات عرضت روحه على الجنة بالغداة والعشي».

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

وفي يوم القيامة وعندما يدخلون في نار جهنم ﴿ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧ – ٤٨]، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

أما مؤمنو موسى عليه السلام فينصرهم الله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ويؤتيهم الله الهدى والذكرى قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [غافر: ٥٣ – ٥٤]. وسميت التوراة هدى لما فيها من الهدى والنور.

وفرق بين النهايتين ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر: ٥٨].

وقد اختلف قوم موسى بالتوراة واختلف قوم محمد بالقرآن واختلف أقوام الأنبياء قبلهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾ [فصلت: ٤٥].

(١) رواه البخاري (١٣٧٩) و مسلم (٢٨٦٦).

آيات الله التسع التي خص الله بها موسى

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٥].

بعد الرسل والأمم أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون بآيات الله التسع وهي: العصا والسنون والدم والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر ومع ذلك اتخذوا العجل وقالوا: هذا سحر﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٧٨].

لقد حملوا المعجزات العظيمة على السحر وقال تعالى: ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ [يونس: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٧٦].

وما كان من فرعون المتكبر عن قبول الحق إلا أن قال: ﴿ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [يونس: ٧٩]، فطرحوا ما معهم من حبال وعصي فقال موسى عليه السلام: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١]، فالله تعالى سيبين الحق ويوضحه بكلامه وحججه وبراهينه وبيناته.

ولم يؤمن بعد هذا كله إلا ذرية من قوم فرعون حيث مات الآباء وبقي الأبناء فآمنوا. وقيل: من قوم موسى. قاله ابن عباس رضي الله عنهما وذلك أن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين إنسانًا فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف وكانوا خائفين من فرعون وملئه قال تعالى: ﴿ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيۡهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].

وقد نصحهم موسى بالتوكل على الله وسؤاله النجاة من القوم الكافرين وطلب منهم اتخاذ بيوتهم قبلة وإقامة الصلاة فكانوا يصلون سرًّا بالبيوت خوفًا من فرعون وملئه وطلب موسى منهم أن يستعينوا بالله ويصبروا قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ ﴾ [يونس: ٨٧].

ودعا ربه بقوله: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، فاستجاب الله لموسى وأخيه فقال: ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩].

تشابه أقوال الكفار من اليهود والنصارى والمشركين من العرب

اليهود يقولون: عزير ابن الله والنصارى يقولون: المسيح ابن الله والعرب الجاهليون الكافرون يقولون: الملائكة بنات الله ويقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، كما اتخذ النصارى الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وقالوا بالتثليث قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣٤].

روى الأعمش وسفيان بن حبيب عن البختري قال: سئل حذيفة عن قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. قال: هل عبدوهم؟ قال: لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»(١).

وجميع الكفار من اليهود والنصارى والمشركين يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ويقولون: ﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١].

ويتبعون الآباء والأجداد ولو كانوا على باطل ويقولون: ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [يونس: ٧٨].

اليهود سماعون للكذب أكالون للسحت

اليهود سماعون للكذب يحرفون الكلم من بعد مواضعه نجسة قلوبهم أكالون للسحت قال تعالى عن اليهود: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [المائدة: ٤٢].

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه الألباني رحمه الله.

نزلت هذه الآية في شأن أبي لبابة حين أرسله النبي ﷺ إلى بني قريظة فخانه حين أشار إليهم أنه الذبح وكان ذلك يوم حصارهم فسألوه ما الأمر؟ وعلام ننزل على الحكم؟ فأشار إلى حلقه بمعنى أنه الذبح رواه الأئمة البخاري ومسلم وأبو داود.

قال أبو داود: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَتِ الْيَهُودُ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَنَيَا فَقَالَ: «ائْتُونِي بِأَعْلَمِ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ»، فَأَتَوْهُ بِابْنَيْ صُورِيَا، فَنَشَدَهُمَا: «كَيْفَ تَجِدَانِ أَمْرَ هَذَيْنِ فِي التَّوْرَاةِ؟» قَالَا: نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ إِذَا شَهِدَ أَرْبَعَةٌ أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحُلَةِ رُجِمَا، قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَرْجُمُوهُمَا؟ قَالَا: ذَهَبَ سُلْطَانُنَا، فَكَرِهْنَا الْقَتْلَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشُّهُودِ، فَجَاءُوا بِأَرْبَعَةٍ، فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحُلَةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِهِمَا[1].

فاليهود يسمعون كلام محمد ﷺ ليكذبوا عليه فكان منهم من يحضر النبي ﷺ ثم يكذب عليه عند عامتهم ويقبح صورته في أعينهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١]، وهم المنافقون ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]، ويتأولونه على غير تأويله بعد أن فهموه عنك وعرفوا مواضعه التي أرادها الله تعالى

(١) رواه أبو داود (٤٤٥٢) وصححه الألباني رحمه الله.

وبين أحكامه فقالوا بترك الرجم للمحصن واستبدلوه بجلده أربعين تغييرًا وتحريفًا يأكلون السحت والمال الحرام كالرشوة وحلوان الكاهن ويتركون الحكم بالتوراة التي ﴿ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

فتح بيت المقدس

لقد تمرد بنو إسرائيل على موسى عليه السلام وعصوه وذكرهم موسى بنعم الله عليهم فلم يرعووا وقال لهم: اذكروا ما أنتم عليه من العبودية لفرعون وقومه وفضل الله عليكم إذ جعلكم تملكون العبيد والمال وجعل فيكم أنبياء وفضلكم على العالمين وطلب منهم أن يدخلوا فلسطين ويستولوا على الأرض المقدسة المباركة الطاهرة ويجاهدوا الجبارين الذين في فلسطين ودمشق وبعض بلاد الأردن وإيلياء وأريحاء وغيرها وطلب منهم أن يطيعوه ولا يرتدوا على أدبارهم فامتنعوا وقالوا: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢ –

٢٤]، وكلهم امتنعوا عن الجهاد إلا رجلين وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وقالوا لموسى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢].

إذا سلموها لنا بدون قتال دخلنا: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. وهما يوشع وكالب فقد آمن هذان وقالوا لقومهم: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. ولكن قوم موسى عاندوا وامتنعوا عن الجهاد فقال موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥]، فألقاهم الله في التيه وغضب عليهم وقال: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذهب الجيل الأول خلال أربعين سنة، ولم يدخل الأرض المقدسة إلا أولادهم بقيادة يوشع بن نون.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ..... إلى أن قال: فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا

فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ»(١). وذلك عشية يوم الجمعة.

اليهود ينقضون المواثيق ويحرفون الكلم عن مواضعه

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

بسبب نقضهم المواثيق والعهود لعنوا وصارت قلوبهم صلبة قاسية لا تعي خيرًا ولا تفعله عاتية يتأولون ويخادعون ويبدلون ويحرفون الكلم عن مواضعه ناسين عهد الله الذي أخذه عليهم فهم أهل غدر وخيانة ومعصية وكذب وفجور ومن قال: إنه من النصارى نسوا حظًّا مما ذكروا به ونشبت بينهم العداوة والبغضاء، وتناسوا العهد الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ولم يعملوا بما أمروا به وحرفوا الكلم عن مواضعه واتبعوا الهوى، فعاقبهم الله بالعداوة بينهم والبغضاء وتسليط بعضهم على بعض فكل فرقة منهم تبغض الأخرى وتعاديها.

(١) رواه البخاري (٣١٢٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خوف رسول الله ﷺ قومًا من اليهود العقاب فقالوا: لا نخاف نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت الآية الكريمة ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ [المائدة: ١٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أضَاء وبحريّ بن عمرو، وشأس بن عدي، فكلموه، فكلّمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تُخَوّفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحبَّاؤه.

قَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ وَهْبٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُ لَنَا قَبْلَ مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حُرَيْمِلَةَ وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا: مَا قُلْنَا هَذَا لَكُمْ، وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ بَعْدَ مُوسَى، وَلَا أَرْسَلَ بَشِيرًا وَلَا نَذِيرًا مِنْ بَعْدِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩].

النقبـاء

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢].

النقيب: هو كبير القوم القائم بأمورهم الذي ينقب عنهم وعن مصالحهم فيها ويسمى الرجل العظيم الذي هو في الناس بهذه الطريقة النقاب وأحدهم نقيب يشهد على القوم ويضمنهم ويعلم دخيلة أمرهم ويعرف مناقبهم وأمورهم ويأمنونه وهو أكبر مكانة من العريف.

قال قتادة رضي الله عنها وغيره: «هَؤُلَاءِ النُّقَبَاءُ قَوْمٌ كِبَارٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ، تَكَفَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِسِبْطِهِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا وَيَتَّقُوا اللَّهَ».

وسمي السبعون رجلًا ليلة العقبة من الأنصار من الخزرج ومعهم امرأتان وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم منهم اثني عشر رجلًا وسماهم النقباء اقتداء بموسى عليه السلام.

وَقَالَ الرَّبِيعُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمَا: إِنَّمَا بُعِثَ النُّقَبَاءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمَنَاءَ عَلَى الِاطِّلَاعِ عَلَى الْجَبَّارِينَ وَالسَّبْرِ لِقُوَّتِهِمْ وَمَنَعَتِهِمْ، فَسَارُوا لِيَخْتَبِرُوا حَالَ مَنْ بها، ويعلموه بما اطلعوه عَلَيْهِ فِيهَا حَتَّى يَنْظُرَ فِي الْغَزْوِ إِلَيْهِمْ، فَاطَّلَعُوا مِنَ الْجَبَّارِينَ عَلَى قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ- عَلَى مَا يَأْتِي- وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا، فَتَعَاقَدُوا

بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يُخْفُوا ذَلِكَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْ يُعْلِمُوا بِهِ مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا انْصَرَفُوا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ خَانَ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ فَعَرَّفُوا قَرَابَاتِهِمْ، وَمَنْ وَثِقُوهُ عَلَى سِرِّهِمْ، فَفَشَا الْخَبَرُ حَتَّى اعْوَجَّ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ولم يسلم من الخيانة إلا اثنان: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وقد ذكر القرطبي أسماء هؤلاء النقباء من بني إسرائيل في تفسيره (٦ /١١٣) فقال نقلاً عن محمد بن حبيب في المحبر فَقَالَ:

١- مِنْ سِبْطِ رُوبِيلَ شموعُ بْنُ ركوبَ	هلك
٢- وَمِنْ سِبْطِ شَمْعُونَ شوقوطُ بْنُ حُورِيِّ	هلك
٣- وَمِنْ سِبْطِ يَهُوذَا كَالِبُ بْنُ يُوقِنَا	وقد نجاه الله
٤- وَمِنْ سِبْطِ السَّاحِرِ يوغولُ بن يوسف،	هلك
٥- ومن سبط أفراثيم بن يُوسُفَ يُوشَعُ بْنُ النُّونِ	وقد نجاه الله
٦- وَمِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ يلظَى بْنُ روقو	هلك
٧- وَمِنْ سِبْطِ ربالُونَ كرابيلُ بن سودَا	هلك
٨- وَمِنْ سِبْطِ منشَا بْنِ يُوسُفَ كدي بْنُ سوشا	هلك
٩- وَمِنْ سِبْطِ دَانَ عمائِيلُ بْنُ كسلَ	هلك

١٠- وَمِنْ سِبْطِ شيرَ ستورُ بْنُ مِيخَائِيلَ هلك

١١- وَمِنْ سِبْطِ نفتَالَ يُوحَنَّا بْنُ وقوشا هلك

١٢- وَمِنْ سبط كاذكوال ابن موخى هلك

فالمؤمنان مِنْهُمْ يُوشَعُ وَكَالِبُ، وَدَعَا مُوسَى عليه السلام عَلَى الْآخَرِينَ فَهَلَكُوا مَسْخُوطًا عَلَيْهِمْ.

غلو اليهود في دينهم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

لقد غلا اليهود وتجاوزوا الحق وقذفوا مريم وجعلوا عيسى ربًّا وقال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»(١).

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥).

فعيسى عليه السلام كلمة الله ألقاها إلى مريم قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران: ٤٥] فهو روح مخلوقة من الله تعالى بغير أب كما أن آدم بدون أب ولا أم وهو روح مخلوقة من الله تعالى وكلاهما مخلوقان خلقهما الله والخوارق التي وهبها الله تعالى لعيسى مثل الخوارق والمعجزات التي لدى موسى من قبل العصا ثعبانًا وفلق البحر واليد البيضاء والمن والسلوى وغير ذلك وقد نهى الله تعالى عن الغلو بالمخلوقين وقال: ﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]. فجميع الأنبياء - صلوات الله عليهم- يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وكيف يكون عيسى إلهًا وهو ابن لمريم الخلوقةفهو عبد لله تعالى قال سبحانه: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢].

إن دين الإسلام دين الوسطية فلا غلو فيه وقد قال ﷺ: «هلك المتنطعون»(١) قالها ثلاثًا. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فالإفراط والغلو والتقصير كل ذلك سيئة قال الشاعر:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذَلُولًا وَلَا صَعْبًا

وقال آخر:

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠).

وَأَوْفِ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ وَصَافِحْ فَلَمْ يَسْتَوْفِ قَطُّ كَرِيمُ

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ كِلَا طَرَفَي قَصْدُ الْأُمُورِ ذَمِيمُ

تعنت اليهود

سألت اليهود محمدًا ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينول عليهم كتابًا مكتوبًا يقرؤونه كما أتى موسى بالتوراة وهذا سؤال تعنت كما تعنتوا في سؤال موسى عليه السلام حيث قالوا: أرنا الله جهرة وكذا اتخاذهم العجل واعتداؤهم يو م السبت ونقضهم المواثيق وقولهم: حبة شعير بدلًا من حطة أي: حط عنا ذنوبنا وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم: قلوبنا غلف. وقولهم: على مريم بهتانًا عظيمًا وأخذهم الربا، وقد نهوا عنه. وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم وظلمهم وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء. وقولهم: يد الله مغلولة مع أن البينات قد جاءتهم ومع عفو الله عنهم في كثير من الأمور ومع رفع الطور فوق رؤوسهم واعتدائهم يوم السبت وقولهم: عزير ابن الله وصدهم عن سبيل الله.

وهذه وغيرها تدل على قساوة قلوبهم ومسخها وطبع الله عليها بكفرهم وعدم إيمانهم وأنهم أسوأ خلق الله قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٥ – ١٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

الآيات البينات في قصص موسى

قصص موسى عليه السلام فيها آيات بينات واضحات فقوله تعالى: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٣٨ – ٤٠]، معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٠]، فالسلطان المبين المعجزات كالعصا واليد وغيرهما ولكن فرعون ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾ فأعرض عن الإيمان وركن إلى قومه وقوته ونأى بجانبه وأعرض فقال كما يقول المعاندون المتكبرون: ﴿ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ فطرحه الله في اليم ونبذه وأغرقه وأخذه أخذ عزيز مقتدر وسوف يلام على فعله ويعاقب على كفره.

ثم تتابعت المعطوفات في سورة الذاريات: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

لقد أعطى الله بني إسرائيل أول الأمر الكتاب فهم أله الكتاب أي: التوراة وأعطاهم الحكم على الناس والقضاء وأعطاهم النبوة من عهد يوسف عليه السلام إلى زمن عيسى عليه السلام، ورزقهم من الطيبات والأقوات والثمار والأطعمة والمن والسلوى، وفضلهم على جميع العالمين بأن بين لهم الشرائع والحلال والحرام وآتاهم من المعجزات الواضحات وبين لهم أمر النبي محمد ﷺ وشواهد نبوته وما يحصل له من الهجرة وغيرها فآمن منهم القليل وكفر الكثير بسبب الحسد والبغي وحب الرئاسة والفضل فقتلوا أنبياءهم وعصوا رسلهم واختلفوا فيما بينهم وعبدوا أهواءهم وظلموا أنفسهم وارتكبوا المعاصي والذنوب والخطايا ولا شك أن دين الإسلام ختم الأديان السابقة ونسخها إلا ما أخبر عنه الرسول ﷺ من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية: ١٦ – ١٧].

وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

اختيار الله أمة محمد ﷺ بعد تكذيب بني إسرائيل وعصيانهم

بين الله تعالى أنه فتن آل فرعون وابتلاهم بالأمر والطاعة واختبرهم ببعثة موسى عليه السلام إليهم فكذبوه فأهلكوا بالغرق بعد تكذيبهم الرسول الكريم موسى عليه السلام الذي فضله الله بالكلام واختصه بالنبوة فلم يسمعوا ولم يطلقوا الإسرائيليين من العذاب وتكبروا وبغوا واغتروا وافتروا على الله فقالوا عنه: ساحر وكذاب، فاستعاذ منهم عليه السلام بالله ربه وربهم فأعاذه سبحانه ونصره وأمره بأن يسري بعباد الله المؤمنين ليلًا وبشره بأنهم سيغرقون فعليه أن يضرب البحر فإذا انفلق يتركه رهوًا ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان: ٢٤]، تاركون ما جمعوه من أموال وجنات وعيون ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن

جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥ – ٢٧].

فملك الله بني إسرائيل تلك الأموال وأورث الله المستضعفين من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها ونجاهم من عذاب فرعون المهين واختارهم على علم على العالمين وآتاهم الآيات.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ١٧ – ٢٨].

وهذا يسير على الله تعالى فلم تبك عليهم السماء ولا الأرض فهم أهون على الله من ذلك.

وقد اختار الله بني إسرائيل على جميع العالمين فترة من الزمن يوم آمنوا بموسى فلما حصل فيهم العصيان والكفر وقتل الأنبياء والفساد والتطاول على الوحي غضب الله عليهم ولعنهم فانتقلت الخيرية لأمة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

العرب أهل وفاء واليهود أهل خديعة
وقوم فرعون خفيفو العقول

أرسل الله تعالى موسى بآيات عظيمة متكررة ومتنوعة إلى فرعون وملئه فقال لهم موسى: ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزخرف: ٤٦] فضحكوا منه احتقارًا وتكذيبًا وتكبرًا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٧] فجاءت إليهم آيات أكبر مما سبقت لعلهم يرجعون قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨] ولكنهم أصروا على اتهامه بالسحر حيث قالوا: ﴿ يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٩].

وذلك لما عاينوا العذاب فدعا موسى ربه أن يكشف عنهم العذاب فكشفه ولكنهم نكثوا الوعد قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٠] بعد ما قالوا لموسى هذا القول وتعهدوا بأن

يؤمنوا إذا كشف عنهم العذاب ولكنهم نقضوا العهد الذي جعلوه على أنفسهم فلم يؤمنوا.

وهكذا اليهود أهل غدر لا يوفون بوعد وأهل حيلة وخداع بخلاف العرب فهم أهل وفاء وصدق لا يحبون الخديعة والغدر والحيل.

أما فرعون فقد نادى في قومه قائلًا: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَّ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥١ – ٥٣] وكان قومه خفيفي العقول أطاعوه.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤] فانتقم الله منهم وأغرقهم وجعلهم ﴿سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦] وعبرة للمعتبرين.

آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام

آذاه قومه عليه السلام عدة مرات، فصبر واحتسب وبرأه الله ونصره.

قال رسول الله محمد ﷺ لما آذاه قومه: «رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»(١).

١- قال الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عليه السلام يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ: فَجَمَحَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ، حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا»(٢) فهو قوله تعالى: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

٢- روى ابن عباس رضي الله عنهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:آذوا موسى بأن قالوا: قتل هارون. وذلك أن موسى وهارون خرجا من خضم التيه في سيناء إلى جبل فمات هارون فيه فجاء موسى، فقالت بنو إسرائيل لموسى:أنت قتلته وكان ألين لنا منك وأشد حبًّا فآذوه بذلك فأمر الله

(١) رواه البخاري (٦٠٥٩).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨) ومسلم (٣٣٩).

الملائكة فحملته حتى طافوا به في بني إسرائيل ورأوا آية عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه أثر القتل.

٣- آذوه بأن قالوا: إنه ساحر أو مجنون ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: **٦٩**] عظيم القدر رفيع المنزلة كلمه ربه وإذا سأله أجابه ورفعه الله وشرفه وأثنى عليه ومدحه وآذوه حيث قالوا: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: **١٥٣**] وقالوا: لن ندخل معك القرية ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: **٢٤**] وقالوا: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة: **٨٨**] وقالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: **١٨١**] وقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: **٦٤**] واتخذوا العجل وعبدوه من دون الله وقالوا: «إن موسى رجل آدر» واتهموه بقتل أخيه هارون وغير ذلك من الأذى.

٤- ومن آذاهم ما ذكر عن قارون أنه أرسل إلى امرأة تدعي على موسى بالفجور ومن الأذى قول قوم موسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: **١٣٨**].

ومنه: افتراؤهم على الله الكذب.

بعد المعجزات والنعم وقيام الحجة يهلك الله تعالى العصاة

أرسل الله تعالى موسى بالتوراة، وأقام الحجة على فرعون وقومه وعلى بني إسرائيل وأعطاه الله المعجزات البينات والحجج الواضحات والسلطان المبين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٦ – ٩٧] فأمره غير سديد ولا صواب ولا يدل إلى خير ولا يرشد إلى معروف فقد أضلهم في الدنيا وأوردهم النار يوم القيامة قال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] فهو المتقدم إلى النار ويقدم قومه ويدخلهم معه جهنم فهو إمامهم وقائدهم ورئيسهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] بئس المدخل والدار والمنزل والموضع الذي يردون إليه فهم ملعونون في الدنيا ويوم القيامة ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود: ٩٩].

فالحجج والبراهين والمعجزات التي جاء بها موسى والنعم التي منح الله بني إسرائيل والنجاة من فرعون وعذابه بعباده والحجج التي بينها لهم ووضحها موسى كل ذلك لم تؤثر عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٥]. أي: نعمه التي تترى عليهم والتي يذكرهم بها موسى حيث يقول لهم: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٦]، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨]

لقد ذكرهم بأنباء من قبلهم مع أممهم ﴿ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩] فأهلكهم الله بعد ما تكبروا ولم يستجيبوا لنداء الله ودعوة رسله الكرام.

هلاك فرعون

قال الله تعالى: ﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

حينما يعاين الإنسان الموت لا ينفع الإيمان ولا تنفع التوبة ولا تقبل إذا غرغرت الروح لهذا قال الله تعالى لفرعون لما قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] فلم تنفع الندامة فرعون وقد نجى الله بدن فرعون ليكون لمن خلفه آية ينظرون إليه إلى الآن في المتاحف.

روي أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غرق وقالوا: هو أعظم شأنًا من ذلك فألقاه الله على نجوة من الأرض مرتفعة من البحر حتى شاهدوه جسدًا لا روح فيه ثم إن الله تعالى بوأ بني إسرائيل منزل صدق محمود مختار في مصر والشام والأردن وفلسطين ورزقهم من الطيبات والثمار وهذه سنة الله تعالى أن من لم يؤمن حال الرخاء لا ينفع إيمانه إذا نزل العذاب وقد استثنى الله من هذه القاعدة قوم يونس فقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١).

أما قصة قوم يونس عليه السلام فقد كانوا بنينوى من أرض الموصل، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام وترك

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٧) وحسنه الألباني رحمه الله.

الشرك وما هم عليه من الكفر والمعاصي فامتنعوا فأقام تسع سنين حتى يئس منهم. ومن إسلامهم فأخبر أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث ولما كان الليل تزود وخرج عنهم فخافوا وتابوا ودعوا الله تعالى وردوا المظالم فلما صحت توبتهم رفع الله عنهم العذاب قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

تشبيه من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمار يحمل أسفارًا

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

الذين كلفوا بالعمل بالتوراة ولم يعملوا بها مثل الحمار يحمل فوق ظهره الكتب ولا يتعلمها ولا يعمل بها كما قيل: زوامل للأسفار لا علم عندهم وقال الشاعر:

إِنَّ الرُّوَاةَ عَلَى جَهْلٍ بِمَا حَمَلُوا ... مِثْلَ الْجِمَالِ عَلَيْهَا يُحْمَلُ الْوَدَعُ

لَا الْوَدْعُ يَنْفَعُهُ حَمْلُ الْجِمَالِ لَهُ ... وَلَا الْجِمَالُ بِحَمْلِ الْوَدْعِ تَنْتَفِعُ

وقال آخر:

انْعِقْ بِمَا شِئْتَ تَجِدْ أَنْصَارا ... وزم أَسْفَارًا تَجِدْ حِمَارَا

يَحْمِلُ مَا وَضَعْتَ مِنْ أَسْفَارِ ... يَحْمِلُهُ كَمَثَلِ الْحِمَارِ

وقال آخر:

يَحْمِلُ أَسْفَارًا لَهُ وَمَا دَرَى ... إِنْ كَانَ مَا فِيهَا صَوَابًا وخطاء

إِنْ سُئِلُوا قَالُوا كَذَا رَوَيْنَا ... مَا إِنْ كَذَبْنَا وَلَا اعْتَدَيْنَا

كَبِيرُهُمْ يَصْغُرُ عِنْدَ الْحَفْلِ ... لِأَنَّهُ قَلَّدَ أَهْلَ الْجَهْلِ

وهكذا اليهود حملوا التوراة فنكثوا ولم يوفوا بالعهد ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

قوة فرعون المادية وأن الله له ولأمثاله بالمرصاد

لقد كان لفرعون قوة عظيمة من الجنود والعساكر والجيوش التي تشد ملكه وتقويه وكان يضع أوتادًا يعذب بها الناس من الإسرائيليين خاصة يربطهم فيها حتى يموتوا تجبرًا منه وعلوًّا كبيرًا وقد فعل هذا بامرأته آسيا وماشطتها.

قال عبد الرحمن بن زيد: «كَانَتْ لَهُ صَخْرَةٌ تُرْفَعُ بِالْبَكَرَاتِ، ثُمَّ يُؤْخَذُ الْإِنْسَانُ فَتُوتَدُ لَهُ أَوْتَادُ الْحَدِيدِ، ثُمَّ يُرْسِلُ تِلْكَ الصَّخْرَةَ عَلَيْهِ فَتَشْدَخُهُ» قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ [الفجر: ١٠]، وكان فساده في البلاد كبيرًا وكثيرًا وطغيانه عظيمًا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ [الفجر: ١١ – ١٢].

لقد تمرد وعتى وتجاوز القدر والحد في الظلم والعدوان فأكثر الجور والأذى والفساد ولكن الله تعالى بالمرصاد أمهلهم ثم صب عليهم العذاب قال تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٣ – ١٤] فالله تعالى لا يفوته أحد فهو بالمرصاد.

رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ سَبْعَ قَنَاطِرَ، يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ أَوَّلِ قَنْطَرَةٍ عَنِ الْإِيمَانِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا جَازَ إِلَى الْقَنْطَرَةِ

الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى الثَّالِثَةِ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى الرَّابِعَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ جَازَ إِلَى الْخَامِسَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِمَا جَازَ إِلَى السَّادِسَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى السَّابِعَةِ. ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الْمَظَالِمِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ فَلْيَأْتِ، فَيُقْتَصُّ لِلنَّاسِ مِنْهُ، يُقْتَصُّ لَهُ مِنَ النَّاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ.

فهو سبحانه يسمع ويرى ولا يخفى عليه شيء من أقوالهم وأفعالهم ونجواهم وإسرارهم، نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه ومغفرته وفضله وإحسانه ولا يؤاخذنا بذنوبنا.

نصيحة الرجل الذي آمن بموسى لفرعون وقومه

استعمل هذا الرجل الكريم المؤمن أسلوب الحكمة واللين في نصيحته قومه بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ [غافر: ٢٩]. وذلك لترقيق قلوبهم ثم ذكرهم بنعم الله عليهم وأنه أعطاهم الملك فقال: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [غافر: ٢٩]. ثم خوفهم من بأس الله وبين لهم أن هذه النعم لا تدوم مع المعصية والكفر وأنها معرضة للزوال إن لم يستجيبوا لداعي الله ويؤمنوا

بموسى وخوفهم من زوال الملك على مصر وبين أن العقاب يعم الجميع ولا منقذ من بأس الله إذا جاء ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ [غافر: ٢٩]. وقال: إنكم لو قدرتم وقتلتم موسى فسوف يهلككم الله كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأحزاب ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ﴾ [غافر: ٣٠ – ٣١] فقد أهلك قوم نوح بالطوفان وأهلكت عاد بريح صرصر عاتية وأهلكت ثمود بالصيحة والله تعالى قادر على إهلاككم إن لم تتبعوا موسى وتؤمنوا به ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١] وخوفهم من يوم القيامة ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [غافر: ٣٢ – ٣٣].

وهكذا المؤمن الحق لا يترك المنكر والعصاة وإنما يقوم بنصيحتهم وتعليمهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومن لم يفعل ذلك عمه الله بالعذاب الأليم.

الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

الحذر لا يؤخر الأجل والجبان يلاقي حتفه وهو يظن النجاة فهؤلاء قوم كثيرو العدد وهم ألوف هربوا من بلادهم لما داهمهم العدو جبنًا وخورًا وخوفًا من الموت ومن العدو وكانوا من بني إسرائيل خالفوا نبيهم في دعوته إياهم للجهاد وفروا من بلادهم ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، فالموت يلاقي الجبان الهارب منه قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ [الجمعة: ٨] والخوف منه لا يدفعه والفرار منه لا يغني عنهم شيئًا فالموت والحياة بيد الله تعالى كما قال عز من قائل: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [الأحزاب: ١٦] وفي هذا الهرب عجب إذ كانوا ألوفًا كيف يركون بلادهم للعدو ويخالفون نبيهم، قيل: إنهم داو ردان قرب واسط وقع عليهم داء الطاعون فماتوا خلال ثمانية أيام حتى انتفخت أجسامهم ونتنت ثم أحياهم الله بدعوة نبيهم قال الشاعر:

وَخَارِجٌ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ ... فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ

وهذه قصة من قصص بني إسرائيل تدل على جبنهم ومخالفتهم لأنبيائهم وأمثالها كثير، والله أعلم.

من أقوال ابن عباس ورواياته عن موسى وفرعون

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

قال: وعبادتك وقال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس: ٩٠]»، قَالَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ حَالًا مِنْ حَالِ الْبَحْرِ، فَدَسَّيْتُهُ فِي فِيهِ، مَخَافَةَ أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. قال: ذو القعدة وعشر من ذي الحجة.

وعنه في قوله: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(١) رواه أحمد (٢٨٢٠).

قال: إن موسى قال لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة أن ألقاه وأخلف هارون فيكم فما فصل موسى إلى ربه زاده الله عشرًا فكانت فتنتهم في العشر التي زاده الله.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ لَهُمْ مُوسَى: أَطِيعُوا هَارُونَ فَإِنِّي قَدِ اسْتَخْلَفْتُهُ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي، وَأَجَّلَهُمْ ثَلاثِينَ يَوْمًا أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَنْ أَتَى رَبَّهُ وَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ثَلاثِينَ يَوْمًا وَقَدْ صَامَهُنَّ لَيْلَهُنَّ وَنَهَارَهُنَّ كَرِهَ أَنْ يُكَلِّمَ رَبَّهُ وَرِيحٌ فِيهِ رِيحُ فَمِ الصَّائِمِ فَتَنَاوَلَ مُوسَى مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ شَيْئًا فَمَضَغَهُ قَالَ لَهُ رَبُّهُ حِينَ أَتَاهُ: لِمَ أَفْطَرْتَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِي كَانَ، قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُكَلِّمَكَ إِلا وَفَمِي طَيِّبُ الرَّائِحَةِ قال: أو ما عَلِمْتَ يَا مُوسَى، أَنَّ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ارْجِعْ حَتَّى تَصُومَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ائْتِنِي فَفَعَلَ مُوسَى الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «قَالَ مُوسَى عليه السلام حِينَ كَلَّمَ رَبَّهُ: أَيْ رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا. قَالَ: أَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ كَمَا يَقْضِي عَلَى النَّاسِ. قَالَ: رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: الرَّاضِي بِمَا أَعْطَيْتُهُ»(٢).

(١) رواه أبو حاتم في تفسيره (٨٩١٨).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٩٨٦٥) ١٢/٥٤٨.

من امتلأ قلبه بشيء نسي ما سواه

إذا امتلأ قلب المرء بشيء أعرض عن ذكر ما سواه وصار انشغاله بذكر ما في قلبه فمن امتلأ قلبه بحب الله لا يذكر ما سواه، ومن امتلأ قلبه بحب الدنيا لا يذكر شيئًا سواها وقد امتلأ قلب أم موسى بموسى عليه السلام فأصبحت لا تذكر شيئًا سواه .

قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠].

وهذا الصبر والربط على قلبها سبب لها الإيمان العميق ومثل ذلك حصل ليعقوب عليه السلام امتلأ قلبه بيوسف عليه السلام ولما ذكر ما حصل لابنه بنيامين بعد يوسف الذي ملأ قلبه لم يتأسف وإنما تذكر يوسف فقال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤].

وكذلك النسوة التي قالت امرأة العزيز ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١] ونسين أنفسهن.

الآداب المستفادة من قصص موسى وهارون- عليهما السلام-

١- الاقتداء بموسى في قوته في الحق وشجاعته وغيرته على دين الله وثباته على الحق وغيرته لدين الله تعالى.

٢- أن قوة الله غالبة مهما أراد أعداء الله من مكر وحيلة فلن يقدروا على ذلك لهذا خاب ظن فرعون وقومه عندما أخذ يقتل أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم فولد موسى في السنة التي يقتل فيها الذكور ومع ذلك نجاه الله تعالى بل رباه في بيت فرعون وأرضعته أمه وأخذت على ذلك الأجرة وصار سببًا في هلاك فرعون .

٣- الصبر سبب الإيمان قال تعالى عن أم موسى: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠].

٤- أن يعلم المؤمن أن ما قدره الله عليه فيه خير كثير ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقد كرهت أم موسى ما حصل من التقاط موسى ولكن حصل من وراء ذلك الخير الكثير.

٥- المؤمن هو الذي يستفيد من آيات الله تعالى قال تعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣] أما غير المؤمن فإنه غافل عن ذلك وفي قلبه رين وعليه غشاوة تمنعه من التدبر والفهم.

٦- أن لكل شيء سببًا ومن عمل بالأسباب نصره الله وحقق أمانيه إذا شاء الله.

٧- إذا قوي الإيمان ذهب الخوف واطمأنت النفس وثبت القلب ورضي بقضاء الله وقدره.

٨- جواز أخذ الأجرة على الرضاعة وقد أخذت أم موسى أجرة على رضاعها.

٩- جواز خروج المرأة لقضاء حاجتها إذا استقامت على أمر الله.

١٠- القتل بغير حق من الإفساد في الأرض.

١١- عدم جواز قتل الكفار المعاهدين.

١٢- أن موسى لم يقصد قتل القبطي وإنما أراد وكزه فقضى عليه .

١٣- قوة موسى الجسمية قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص: ١٤].

١٤- أن المسلم يجب عليه أن يغار على دين الله وينصر المؤمنين والدعاة إلى الله.

١٥- إخبار الداعية بما يحوكه أهل الباطل ضده ليس من الغيبة ولا النميمة وإنما هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة دين الله قال

تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠].

١٦- يجب على المسلم أن يعمل الأسباب الجائزة الممكنة لسلامته إذا خاف من قتل أو ضرر أو غيره لهذا فر موسى وترك وطنه وذهب إلى أرض مدين وهو لا يعرفها وليس معه دليل يدل عليها.

١٧- سؤال الله ودعاؤه والتضرع إليه في كل حال، فموسى استمر يدعو الله تعالى أن يهديه إلى سواء السبيل حتى وصل إلى مدين.

١٨- مساعدة الضعيف والأخذ بيده، وقد ساعد موسى عليه السلام المرأتين بالسقاية لهما.

١٩- أن دأب الصالحين مجازاة المحسن، لهذا جازى الرجل الصالح موسى مع أن موسى لم يطلب مجازاته ولم يشترط لسقيا المرأتين أجرة.

٢٠- جواز الإجارة.

٢١- جواز أن يطلب الرجل لابنته الزوج الصالح.

٢٢- جواز أن يخبر الرجل عن صفاته الحسنة إذا كان ذلك لمصلحة ونفع كما قال الرجل الصالح: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧].

٢٣- القوة والأمانة صفتان عظيمتان لجميع الأعمال وحسن الخلق في المعاملات من الأمور المطلوبة.

٢٤- أن آيات الله وكرامات الأولياء تدل على عظمة الله تعالى وقدرته، وأن إمامة الناس في الخير من نعم الله قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال عن إمامة الشر: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [القصص: ٤١].

٢٥- من الفوائد أن يعلم المسلم ما أنعم الله به على موسى وعلى نبينا محمد ﷺ حيث علمه ما لم يكن يعلم قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصص: ٤٤]. وقال: ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ [القصص: ٤٥]. وقال: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص: ٤٦].

٢٦- أهمية ذكر الله تعالى وأن الصلاة وغيرها من العبادات فرضت لذكر الله قال سبحانه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤] وقال موسى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٣٣ – ٣٥] وقال تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ [طه: ٤٢].

٢٧- بر المسلم بأخيه وإحسانه إليه ومعاونته على الخير حيث طلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون.

٢٨- أن الشريكين إذا أخلصا لله وأخلصا المحبة وتعاونا على الخير يحصل بهما قوة على الحق.

٢٩- أن للفصاحة والبيان منزلة عظيمة في الدعوة قال موسى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص: ٣٤].

٣٠- الله تعالى مع الدعاة المخلصين قال تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [التوبة: ٤٠].

٣١- أهمية الرفق واللين في الدعوة قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٤].

٣٢- أن سبب العذاب التولي والكذب قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه: ٤٨] وقال: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١٥ – ١٦].

٣٣- التوبة سبب المغفرة وهي تجب ما قبلها قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢] فالذنوب تغفر بسبب أربعة أمور ذكرت في هذه الآية: التوبة والإنابة والإيمان وعمل الصالحات. وبالله التوفيق.

صحف إبراهيم وموسى

بين الله تعالى فضيلة الدار الآخرة والجنة ودوامها وبقائها على هذه الحياة الفانية وأوضح أن هذا ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨].

روى الآجري عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يَا رَسُول الله، فَمَا كَانَت صحف إِبْرَاهِيم قَالَ: أَمْثَال كلهَا أَيهَا الْملك المتسلط المبتلي الْمَغْرُور لم أَبْعَثك لِتجمع الدُّنْيَا بَعْضهَا على بعض وَلَكِن بَعَثْتُك لِترد عني دَعْوَة الْمَظْلُوم فَإِنِّي لَا أردهَا لِتجمع الدُّنْيَا بَعْضهَا على بعض وَلَكِن بَعَثْتُك لِترد عني دَعْوَة الْمَظْلُوم فَإِنِّي لَا أردهَا وَلَو كَانَت من كَافِر وعَلى الْعَاقِل مَا لم يكن مَغْلُوبًا على عقله أَن يكون لَهُ ثَلَاث سَاعَات سَاعَة يُنَاجِي فِيهَا ربه وَسَاعَة يُحَاسب فِيهَا نَفسه ويتفكر فِيمَا صنع وَسَاعَة يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ من الْحَلَال فَإِن فِي هَذِه السَّاعَة عوناً لتِلْك السَّاعَات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لَهَا وعَلى الْعَاقِل أَن يكون بَصيرًا بِزَمَانِهِ مُقبلًا على شَأْنه حَافِظًا لِلِسَانِهِ فَإِن من حسب كَلَامه من عمله أقل الْكَلَام إِلَّا فِيمَا يعنيه وعَلى الْعَاقِل أَن يكون طَالبا لثلاث مرمة لِمَعَاش أَو تزوّد لِمَعَاد أَو تلذذ فِي غير محرم.

قلت: يَا رَسُول الله، فَمَا كَانَت صحف مُوسَى قَالَ: كَانَت عبرًا كلهَا عجبت لمن أَيقَن بِالْمَوْتِ كَيفَ يفرح وَلمن أَيقَن بِالْمَوْتِ ثمَّ يضْحك وَلمن يرى

الدُّنْيَا وَتَقَلُّبهَا بِأَهْلِهَا ثمَّ يطمئن إِلَيْهَا وَلمن أَيقَن بِالْقدرِ ثمَّ ينصب وَلمن أَيقَن بِالْحِسَابِ ثمَّ لَا يعْمل.

قلت: يَا رَسُول الله، هَل أنزل عَلَيْك شَيْء مِمَّا كَانَ فِي صحف إِبْرَاهِيم ومُوسَى قَالَ: يَا أَبَا ذَر نعم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٩][1].

(١) الدر المنثور وتفسير سورة الأعلى للقرطبي (ص ٢٤، ٢٥) الجزء (٢٠).

بعض الأحاديث الواردة في موسى عليه السلام

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدِ

أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صلى الله عليه وسلم، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صلى الله عليه وسلم، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ»، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم،

فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»(١)

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَالأَعْرَجِ، ح وحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ: حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ

(١) رواه مسلم (١٦٢).

المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»(١)

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الغُدَانِيُّ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ وَإِذَا أُنَاسٌ مِنَ اليَهُودِ يُعَظِّمُونَ عَاشُورَاءَ وَيَصُومُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِصَوْمِهِ، فَأَمَرَ بِصَوْمِهِ»(٢)

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ: وَحَدَّثَنِي مَحْمُودٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَى، قَالَ: فَنَعَتَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ: - مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: - رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا

(١) رواه البخاري (٧٤٧٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٤٢).

خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ - يَعْنِي الحَمَّامَ -، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ، قَالَ: وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»(١)

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ»، وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣]

قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ «يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عليه السلام»(٢)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى

(١) رواه البخاري (٣٤٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٥).

وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى، فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ»(١)

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى العَالَمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَقَالَ «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»(٢)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غُرَيْرٍ الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ

(١) رواه البخاري (٣٤٣٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٨).

عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟» قَالَ مُوسَى: لاَ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]. قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ»(١)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ قَالَا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ

(١) رواه البخاري (٧٤).

إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عليه السلام عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي»، قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي لِيفًا.(١)

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم- فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ: - مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»، قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَى - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم- فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ»- يَعْنِي حَمَّامًا - قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»، قَالَ: «فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»(٢)

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً - إِنْ شَاءَ اللهُ - ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ

(١) رواه مسلم (١٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٦٨).

بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ وَابْنُ أَبْجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ الْأَشْجَعِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: إِنَّ

مُوسَى عليه السلام سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا حَظًّا، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ(١)

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ. وَكَانَ مُوسَى عليه السلام يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ. قَالَ: فَجَمَحَ مُوسَى بِإِثْرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى قَالُوا: وَاللهِ، مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا»

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاللهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ، أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى بِالْحَجَرِ»(٢)

وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ مُوسَى

(١) رواه مسلم (١٨٩).

(٢) رواه مسلم (٣٣٩).

عليه السلام رَجُلًا حَيِيًّا قَالَ: فَكَانَ لَا يُرَى مُتَجَرِّدًا قَالَ: فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ آدَرُ، قَالَ: فَاغْتَسَلَ عِنْدَ مُوَيْهٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَانْطَلَقَ الْحَجَرُ يَسْعَى، وَاتَّبَعَهُ بِعَصَاهُ يَضْرِبُهُ: ثَوْبِي حَجَرُ ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَزَلَتْ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩](١)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام. فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلِ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»

(١) رواه مسلم (٣٣٩).

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.(١)

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، كُلُّهُمْ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عليه السلام، صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ، عليه السلام، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عليه السلام، حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عليه السلام وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ: وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا،

(١) رواه مسلم (٢٣٧٢).

فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عليه السلام، قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢]، قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣]، قَالَ مُوسَى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤]، قَالَ: يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]. قَالَ: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٧ – ٦٩].

قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠]، قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا

بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف: ٧١ – ٧٣]، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٤ – ٧٥].

قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف: ٧٦ – ٧٧].

يَقُولُ مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا»، قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ».

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَكَانَ يَقْرَأُ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا» وَكَانَ يَقْرَأُ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا»(١)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إِنَّ نَوْفًا يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: أَسَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ».

حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى عليه السلام، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَأَيَّامُ اللهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ، إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأَعْلَمَ مِنِّي، قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، إِنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ، أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ، إِنَّ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَدُلَّنِي عَلَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا، فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَعُمِّيَ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ، فَجَعَلَ لَا يَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ، قَالَ: فَقَالَ فَتَاهُ: أَلَا أَلْحَقُ نَبِيَّ اللهِ فَأُخْبِرَهُ؟ قَالَ: فَنُسِّيَ، فَلَمَّا تَجَاوَزَا قَالَ: لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، قَالَ: وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا، قَالَ: فَتَذَكَّرَ ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).

ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣]، قَالَ: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤]، فَأَرَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ، قَالَ: هَا هُنَا وُصِفَ لِي، قَالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ مُسَجًّى ثَوْبًا، مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا، أَوْ قَالَ: عَلَى حَلاَوَةِ الْقَفَا. قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ قَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى؟ قَالَ: وَمَنْ مُوسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا، شَيْءٌ أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، قَالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا، قَالَ: انْتَحَى عَلَيْهَا، قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا؟ قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ، فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عليه السلام، ذَعْرَةً مُنْكَرَةً، قَالَ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا»

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، ﴿ قَالَ إِن

سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٦]. وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ»- قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي كَذَا، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا -» فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، قَالَ: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ [الكهف: ٧٨ – ٧٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ ﴾ [الكهف: ٨١ – ٨٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ح: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى كِلَاهُمَا عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِإِسْنَادِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، نَحْوَ حَدِيثِهِ.(١)

حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).

رضي الله عنهما: أَنَّهُ تَمَارَى، هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى بَلْ عَبْدُنَا الْخَضِرُ قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا افْتَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسِيرَ، ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، فَقَالَ فَتَى مُوسَى، حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]، فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ» إِلَّا أَنَّ يُونُسَ قَالَ: فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ.(١)

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ - وَهُوَ ابْنُ أَبْجَرَ- سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).

يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَأْتِي بَعْدَمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ. قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، قَدْ رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ، فَيَقُولُ: قَدْ رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ».

«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ المُغِيرَةِ: «وَلَمْ يَرْفَعْهُ، وَالمَرْفُوعُ أَصَحُّ» (١)

حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ عَوْفٍ، عَنِ الحَسَنِ وَمُحَمَّدٍوَخِلاَسٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا مَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بني إسرائيل، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا، وَإِنَّ مُوسَى خَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ فَطَلَبَ الحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ

(١) رواه الترمذي (٣١٩٨).

ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بني إسرائيل فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ النَّاسِ خَلْقًا، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا كَانُوا يَقُولُونَ».

قَالَ: «وَقَامَ الحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ عَصَاهُ ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] .

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.(١)

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطُّوَلِ، وَأُوتِيَ مُوسَى عليه السلام سِتًّا، فَلَمَّا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ، رُفِعَتْ ثِنْتَانِ، وَبَقِيَتْ أَرْبَعٌ»(٢)

حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ: حَدَّثَنَا أَبِي: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَرَأَى الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي

(١) رواه الترمذي (٣٢٢١).

(٢) رواه أبو داود (١٤٥٩).

تَصُومُونَهُ؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ فِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى عليه السلام. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ بِصَوْمِهِ. (١)

حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ. قَالَ: «وَذَكَرَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ، وَأَنَّهُ رَأَى مُوسَى عليه السلام آدَمَ طُوَالًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى عِيسَى مَرْبُوعًا إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، جَعْدًا وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى الدَّجَّالَ، وَمَالِكًا خَازِنَ النَّارِ». (٢)

حَدَّثَنَا يَزِيدُ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَعَفَّانُ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍعَنْ أَوْسِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى عليه السلام، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عليه السلام، فَتَخْطِمُ الْكَافِرَ - قَالَ عَفَّانُ: أَنْفَ الْكَافِرِ - بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»(٣)

(١) رواه أحمد في المسند (٢٨٣١).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣١٧٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (٧٩٣٧).

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحُ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَارَانِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ فِي الرَّجُلِ الَّذِي اتَّبَعَهُ مُوسَى فَقُلْتُ: هُوَ الْخَضِرُ وَقَالَ الْفَزَارِيُّ: هُوَ رَجُلٌ آخَرُ. فَمَرَّ بِنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَدَعَوْتُهُ، فَسَأَلْتُهُ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الَّذِي تَبِعَهُ مُوسَى؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى جَالِسٌ فِي مَلأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْكَ؟ قَالَ: مَا أَرَى. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: بَلَى، عَبْدِي الْخَضِرُ. فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً إِنْ افْتَقَدَهُ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ مَا قَصَّ اللهُ».(١)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَرَّانِيُّ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ -يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو- عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: انْتَسَبَ رَجُلاَنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام أَحَدُهُمَا: مُسْلِمٌ، وَالْآخَرُ مُشْرِكٌ، فَانْتَسَبَ الْمُشْرِكُ فَقَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ حَتَّى بَلَغَ تِسْعَةَ آبَاءٍ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ: انْتَسِبْ لَا أُمَّ لَكَ. قَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَنَادَى مُوسَى النَّاسَ فَجَمَعَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا أَمَّا الَّذِي

(١) رواه أحمد في المسند (٢١١٣١).

انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ فَأَنْتَ فَوْقَهُمُ الْعَاشِرُ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الَّذِي انْتَسَبَ إِلَى أَبَوَيْهِ فَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلاَمِ». (١)

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الفَضْلِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلاَ أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». (٢)

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا قَالَ:

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٠٨٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤١٤، ٣٤١٥).

«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ».(١)

حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ».(٢)

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ

(١) رواه البخاري (٣٤١٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٩).

اللَّهِ ﷺ: «فلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، مِنْ جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ».

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ.(١)

حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهَ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (٢)

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنِ الحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ وَخِلاَسٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ:

(١) رواه البخاري (٣٤٠٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٥).

ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ. وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. (١)

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ

(١) رواه البخاري (٣٤٠٤).

مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، قَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا - فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ

رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ - قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ - فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ الخَضِرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا».(١)

وبهذا تمت ما ورد عن موسى وقومه من قصص وأحاديث وما جاء عن فرعون وبني إسرائيل.

أسأل الله تعالى أن ينفع بها وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وعلى رسل الله جميعًا وبالله التوفيق.

(١) رواه البخاري (١٢٢).

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
فضائل الله تعالى على موسى عليه السلام	٧
فضل موسى عليه السلام على أمة محمد ﷺ بتخفيف الصلاة	٩
حياء موسى عليه السلام	١٢
مِن أول مَن يبعث يوم القيامة: موسى عليه السلام	١٤
كثرة أمة موسى عليه السلام	١٥
منزلة موسى عليه السلام وفضله علينا بتخفيف الصلاة	١٩
من رحمة الله بموسى عليه السلام: أن أرسل إلى هارون ليساعده على أعباء الدعوة ويؤازره	٢٠
كلام الله تعالى لموسى عليه السلام	٢١
طلب موسى العلم	٢٢
موسى عليه السلام مع ملك الموت	٢٦
الفوائد من قصص موسى عليه السلام	٢٩

الهم الذي يلاحق موسى عليه السلام بسبب قتله خطأ للقبطي من آل فرعون ٣١

المرء مع من انتسب إليه ٣٤

موسى عليه السلام وعصاه وانتصاره على فرعون..... ٣٥

حرص موسى على التعلم ٣٦

موسى عليه السلام ثاويًا في أهل مدين..... ٣٨

قصة زواج موسى عليه السلام والفوائد منها ٤٠

ورقة بن نوفل يقول للنبي ولخديجة عن جبريل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ٤٣

تعجل موسى عليه السلام لمناجاة ربه ومعاقبته بما فعل السامري ٤٥

عودة موسى عليه السلام إلى مصر ٤٧

تعليمات موسى لقومه ٤٨

رحمة الله تعالى بموسى عليه السلام..... ٥٠

خاب تخطيط فرعون..... ٥١

دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه ٥٤

إيمان سحرة فرعون بالله رب العالمين ربًا وبموسى عليه السلام نبيًا ٥٥

بعض نعم الله تعالى على بني إسرائيل..... ٥٧
خروج موسى عليه السلام من مصر إلى مدين ووصوله إليها ٦٤
عمالة موسى راعيًا للغنم لدى الرجل الصالح ٦٦
كلام الله لموسى عليه السلام..... ٦٨
مجادلة موسى وهارون لفرعون ٧٠
دعوة موسى لفرعون باللين واللطف ٧٢
المحاورة بين موسى وهارون من جهة وبين فرعون من جهة أخرى ٧٤
موقف السحرة بعد بيان الحق وغلبته..... ٧٦
موقف موسى وقومه من تهديدات فرعون وملأه ٧٨
خطبة فرعون في قومه..... ٨٠
خطبة موسى في قومه ٨١
موقف قوم موسى ٨١
خطبة الرجل المؤمن ٨٢
عذاب آل فرعون ٨٣
مصير المؤمنين من آل فرعون ومن قوم موسى..... ٨٥

دعاء موسى على فرعون وملئه ٨٦
خروج بني إسرائيل من مصر وطلب فرعون وملئه لهم ٨٨
نهاية فرعون وعدم قبول توبته..... ٩٠
أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ٩٢
دخول بني إسرائيل في التيه ٩٤
الوصايا العشر التي أوصى الله بها بني إسرائيل ٩٦
طلب موسى عليه السلام من ربه أن يسقيهم الماء الزلال..... ٩٧
سؤال موسى ربه أن يريه له ٩٩
ما آتاه الله موسى عليه السلام من الألواح ١٠١
عبادة قوم موسى للعجل ١٠٣
اختيار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلًا لميقات ربه..... ١٠٦
السبع الخصال التي سأل موسى به عنها ١٠٨
من أسئلة موسى عليه السلام لربه تبارك وتعالى..... ١١٠
سؤال بني إسرائيل لموسى: هل ينام ربك؟!..... ١١٠
قصة بقرة بني إسرائيل ١١٢

رضاعة موسى عليه السلام ١١٤
قصص موسى في مدين ١١٦
قصص موسى مع الخضر -عليهما السلام- ١١٩
حديث الفتون ١٢٤
كثرة دعاء موسى لربه سبحانه وتعالى ١٢٦
من قصص بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ١٢٩
الأحاديث الواردة في فضل موسى عليه السلام ١٣٤
من صفات موسى عليه السلام ١٣٦
قصة قارون مع موسى ١٣٩
طلب قوم موسى من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة غير الله وتعنتاتهم الكثيرة ... ١٤١
فوائد من قصص موسى عليه السلام ومن التوراة ١٤٤
كل الأمم قبل موسى أهلكوا بعامة وأمة محمد دعا لها الرسول صلى الله عليه وسلم
ألا يهلكها بعامة ١٤٩
ما ورد عن حج موسى عليه السلام إلى مكة والبيت الحرام ١٥٠
أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام ١٥٢

ماور من قصص الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام ١٥٥
اعتداء بني إسرائيل يوم السبت ١٥٧
الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل ١٥٩
المن والسلوى من أطيب الطيبات التي أنزلها الله تعالى لقوم موسى
لكنهم استبدلوها بالذي هو أدنى ١٦١
استسقاء موسى عليه السلام لقومه ١٦٣
صيام موسى وقومه يوم عاشوراء وأمر رسول الله محمد بصيامه ١٦٥
تطير فرعون وقومه بموسى ومن معه ١٦٦
المحاورات بين موسى عليه السلام وفرعون وقومه والسحرة ١٦٩
بسبب بغي بني إسرائيل وظلمهم حرم الله عليهم أشياء ١٧١
فصل ١٧٢
الانهماك في الدنيا سبب انتكاس العالم ١٧٥
قصة بلعام بن باعوراء ١٧٧
الذين نجاهم الله من بني إسرائيل ١٧٩
وفاة موسى عليه السلام وما ورد من الأحاديث فيها ١٨٠

كتب الله الرحمة لأمة محمد ﷺ وفضلها على أمة موسى عليه السلام
وغيرهم ١٨٢
الرؤية وما حصل بعدها ١٨٥
موسى عليه السلام أعلم من الخضر ولدى الخضر علم لا يعلمه موسى ١٨٦
لعن الله اليهود القائلين: إن الله فقير ونحن أغنياء ١٨٨
لقد أخذ الله العاصين من آل فرعون ومن بني إسرائيل –قتلة الأنبياء–..... ١٩٠
قصة طلب بني إسرائيل القتال من نبيهم ١٩٢
الهدى والرحمة والبركة والبينة والنور والفرقان بالقرآن والتوراة..... ١٩٤
قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت ١٩٥
استعجال موسى عليه السلام للقاء ربه..... ١٩٧
لا يفلح الساحر حيث أتى ١٩٩
فوائد من قصص فرعون..... ٢٠٠
منن الله تعالى على موسى ٢٠٢
دعوات موسى عليه السلام عند لقاء ربه ٢٠٤
أوامر الله تعالى لموسى عند كلامه له ٢٠٥

خطبة المؤمن من آل فرعون ٢٠٧
مؤمن آل فرعون ٢١٠
كبر فرعون واستهزاؤه واحتقاره لبني إسرائيل ٢١٢
محاجة آدم وموسى -عليهما السلام- ٢١٣
السامري ٢١٥
اليهود أهل حسد ٢١٧
اليهود يزكون أنفسهم ٢١٩
من صفات اليهود ٢٢١
نهاية قوم فرعون ونهاية مؤمني موسى عليه السلام ٢٢٦
آيات الله التسع التي خص الله بها موسى ٢٢٨
تشابه أقوال الكفار من اليهود والنصارى والمشركين من العرب ٢٣٠
اليهود سماعون للكذب أكالون للسحت ٢٣١
فتح بيت المقدس ٢٣٣
اليهود ينقضون المواثيق ويحرفون الكلم عن مواضعه ٢٣٥
النقباء ٢٣٧

غلو اليهود في دينهم ٢٣٩
تعنت اليهود..... ٢٤١
الآيات البينات في قصص موسى ٢٤٢
اختيار الله أمة محمد ﷺ بعد تكذيب بني إسرائيل وعصيانهم ٢٤٤
العرب أهل وفاء واليهود أهل خديعة وقوم فرعون خفيفو العقول..... ٢٤٦
آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام ٢٤٧
بعد المعجزات والنعم وقيام الحجة يهلك الله تعالى العصاة..... ٢٥٠
هلاك فرعون ٢٥١
تشبيه من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمار يحمل أسفارًا..... ٢٥٣
قوة فرعون الهادية وأن الله له ولأمثاله بالمرصاد ٢٥٥
نصيحة الرجل الذي آمن بموسى لفرعون وقومه ٢٥٦
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ٢٥٨
من أقوال ابن عباس ورواياته عن موسى وفرعون..... ٢٥٩
من امتلأ قلبه بشيء نسي ما سواه ٢٦١
الآداب المستفادة من قصص موسى وهارون-عليهما السلام- ٢٦٢

صحف إبراهيم وموسى ٢٦٨
بعض الأحاديث الواردة في موسى عليه السلام ٢٦٩
الفهرس ٢٩٧